روايات عبير



آن ميثر

أرجوحة المصير

١٥٦

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 156

أرجوحة المصير

ماذا ينتظر جولي عندما تعود مع طفلتها ايما الى لندن بعد ان فقدت زوجها الذي قضت معه فترة طويلة في بلد استوائي؟ انه رجل أقل ما يقال فيه انه يتسرب الى الخلايا فيغيرها كما يفعل النور بغابة كثيفة. حياتها الجديدة اشبه بقارب فقد شراعه بعد عاصفة. عبارة عن بحث مستمر عن الأمان لها ولطفلتها. ولكن ما يواجهها هو الماضي بمرآته المحطمة التي تشوه الملامح. وبدل ان ترى احلامها تتحقق وحياتها تستقر في رحابها الجديد، تجد جرحاً قديماً يرفض ان يندمل. وروبرت، شقيق زوجها، يحرّك بيديه ارجوحة مصيرها من جديد.

لبنان	١٠ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	١٠ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	١٫٥٠٠ د	U.K.	£ 1.50
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١٫٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١٫٥٠٠ ر	مصر	١٠٠ ق	Cyprus	P 1.500

١ - على حافة الرحيل

بدا مطار لندن رتيب الحركة ، كئيباً ، بعد أضواء كوالا لمبور وتلونها والحياة المتدفقة فيها . ابنيته يغشاها رذاذ مطر خفيف . وبدا للمتأمل فيه انه يفتقد ذلك النمط الاستوائي الذي يطبع الحياة في كوالالمبور ، حتى تلك النظرات المشتاقة المعذبة لمسافر عائد ، بين زحمة الناس المندفعة للقاء أقارب وأصدقاء هم في انتظار . وبدا المكان بارداً ، غريباً ، بمقدار ما بدت ماليزيا لستة أعوام خلت . هكذا تراءى لجولي وهي في اكتئاب ، تضم كتفيها الهزيلتين تحت معطف ناعم ذي لون يحاكي لون رمال الشاطىء ، كانت اشترته على نصيحة صديقتها باربارة لترتديه خلال رحلة العودة الى الوطن .

وها هي الآن ثانية في انكلترا . وكان عليها أن تتقبل ، بوسيلة أو بأخرى ، حقيقة كون منزلها المتواضع في مدينة راتون لم يعد مأواها الذي كان ، وان تتكيف مع المستجدات والمتغيرات الطارئة كي لا يكون لها وقع أليم في نفس إيما .

كانت مضيفة الطيران جذابة تستحث المسافرين ليتقدموا نحو مراكز الجمارك وبوابات الخروج وهي تلوح لهم مبتسمة ، مودعة ، وتخص طفلة صغيرة ، تمسكت بيد جولي ، بالتفاتة لطيفة .

- وداعاً ، إيما ! (قالت لها وهي تنحني امامها لتمسك يدها) . . . وشكراً لك ، لمساعدتك ايانا في أثناء الرحلة . لست ادري ماذا كان في مقدورنا أن نفعل لو لم تكوني معنا في هذه الرحلة ؟

رفعت ايما عينين متسائلتين ناحية جولي ، ونظراتها في دوامة . ثم

تحولت ثانية نحو المضيفة قائلة :

ـ أحقاً ما تقولين ؟ اظنني كنت ، بحسب ما قالت لي والدتي ، مصدر ازعاج اكثر مني مصدر مساعدة ؟

اتسعت ابتسامة المضيفة .

ـ بل على العكس . ومن كان سيوزع كل تلك المجلات على المسافرين في الطائرة لو لم تكوني موجودة ؟

تدخلت جولي ، وملامح ابتسامة عند طرفي شفتيها .

ـ كانت بادرة لطيفة منك أن تفسحي لها مجال مساعدتكم ، فذلك ما خفف من وطأة مشقة السفر عليها .

اشارت المضيفة بحركة حيية تقلل من قدر اطراء جولي لها .

ـ لا بأس ، سيدة بمبرتون ، فقد سرنا وجودها .

ـ شكراً لك ثانية (قالت جولي وهي تعض على شفتها ، والتفتت الى ايما) ودّعي الآنسة حبيبتي ، فنحن لن نلتقيها ثانية .

ـ وداعاً ، آنسة فوريست .

قالت ايما بنبرة مهذبة . ثم انطلقتا وابتسامة جولي ، تحية ، تنهي اللقاء .

كانت حقيبتاهما قد اخرجتا من دائرة الجمارك ، وصودق على تأشيرة الدخول لهما . وبدا الجميع مهذبين ودودين حيال تلك السيدة الفتية التي ترافقها طفلتها ذات الخمس سنوات . فجأة احست جولي بالبرد والقلق ، وهي ترقب ذلك الحشد من الناس المنتظر بنفاد صبر ، خارج قاعة الوصول ، فضمت معطفها الى صدرها واشاحت بنظرها بعيداً ، كأنها تمنّت لسبب ما لو تطول تلك اللحظة التي تسبق لقاءها وأهل زوجها مايكل ثانية . ولم تجلْ نظرها في جمهرة الناس ثانية الا بعد ان احست بيد ايما تشد على يدها وكَلمات الطفلة تنطلق بحماسة .

ـ أين جدتي ، هل يمكنك رؤ يتها ، امي ؟

ـ لم المحها بعد ، حبيبتي .

سالت ايما باصرار :

ـ لكنك ذكرت ان جدتي ستكون في انتظارنا ، اليس كذلك ؟ اعتقد انها في انتظارنا بين الحشد الذي هناك ، اليس كذلك ؟

اجابت جولي بتنهيدة :

ـ هذا ما اعتقده ، عزيزتي . تعالي نستطلع امر وصولها .

حملت جولي حقيبة في كل يد ، رافضة أن تترك الأمر لحمّال . وأشارت على ايما أن تحمل حقيبة الكتف الصغيرة ثم خرجتا الى قاعة الاستقبال .

كانت لوسي بمبرتون وعدت بالحضور لاستقبالها غير انها لم تكن تلتزم مواعيدها دائماً ، ولم تفاجأ جولي اذ لم تر لها اثرا بعد في القاعة . كذلك ، كان يمكن أن يبعث تخلفها بعد مضي ما يقارب ستة أعوام على لقائهما الأول ألماً ومرارة في قلب جولي لو لم تكن الأشهر الثلاثة الأخيرة حفلت بأحداث تركتها مجدبة الأحاسيس حيال عدم قدومها لاستقبالها .

وحدها ايما بوجهها المثقل خيبة أحست بعدم اطمئنان الى الأمر .

ـ انها ليست هنا . . . لماذا ، امي ؟ لم لم تحضر جدتي كما وعدت ؟

مالت جولي ناحية الطفلة ، مطرقة ، ثم وضعت الحقيبتين أرضاً .

ـ لا تحنقي ، حبيبتي ، غالب الأمر ان جدتك الآن في طريقها الى هنا . فزحمة السير على اشدها ، ويبدو شبه مؤكد ان هذا ما جعلها تتأخر ، اظنك تدركين هذا .

ـ نعم . اظن الأمر كذلك . (ثم استدركت بمنطق الطفل الذي لا يوارب) . . . ولكن لماذا لم تخرج باكرا لتتفادى التأخر ؟

هزت جولي رأسها دلالة تساؤ ل ، وهي تنتصب ثانية .

ـ لست ادري ، عزيزتي . ما رأيك لو ذهبنا ننتظرها في المقهى ، هناك أقدم اليك كوبا من الحليب . نبقى الى أن تأتي . كذلك يمكنني ان اتصل بها هاتفيا لأسأل عن امرها .

قالت ايما وفي وجهها عبوس :

ـ ألن تفوتنا ، في هذه الحال ، رؤ يتها ؟ اعني ، انها قد تصل ونحن في المطعم ، فلا تجدنا ؟

تنهدت جولي ثانية .

ـ كلا ، انظري (وأشارت بيدها الى نوافذ المطعم المطلة على القاعة) نحن اذا ما جلسنا قرب النافذة فسيكون في استطاعتنا رؤ ية أي شخص سواء كان داخلا أو خارجا .

لم تقتنع ايما بهذا التبرير ، وأحست جولي فجأة بتبرم . لم يكن كثيرا منها

أن تطلب من لوسي الا تتأخر في حضورها ، هذه المرة فقط . أما ادركت هذه الأخيرة أن المرء يمكن أن يكون تعبا ، مرهقا وغير اهل لتقبل الخيبة بعد سفر طويل ؟

ارتعدت لدى سماعها نبرة خشنة، وكادت تقفز من مكانها . ثم استدارت مترددة لتواجه صاحب الصوت مع ادراكها سلفا هوية صاحبه .

احست ان اعصابها تكاد تنهار ، اذ هي لم تكن استعدت بعد لتواجه روبرت بميرتون خصوصا انها متعبة وقد انهكها السفر ، بعد سنوات طويلة من الفراق .

- مرحبا ، روبرت ، كيف حالك ؟

صافحها بيد لا عزم فيها ونظراته الموجعة المتفحصة سياط تضرب انحاء جسمها . كانت لديه المقدرة دائماً على أن يختصر وجودها بنظرة ثاقبة . الا انها ، هذه المرة ، حاولت أن تخفي ارتباكها وأن تقنع نفسها بأنها لم تعد تلك الفتاة الصغيرة التي عملت مدة في مؤسسته ، بل هي الآن امرأة ، تزوجت ثم ترملت ، لها طفلة في الخامسة ، ويجب عليها ، بالتالي ، الا تفكر في كل ما كان قبلاً .

ترك روبرت يدها قائلاً بنبرة باردة :

- انا في خير ، شكراً ، كيف حالك انت ؟

- في خير ، في خير .

تأملها روبرت فترة غير قصيرة ظنت خلالها انه على وشك أن يأتي على ذكر مايكل ، لكنه لم يفعل . ثم جلس القرفصاء قبالة ايما ، وبادرها :

- مرحبا ، ايما ، هل تتذكرينني ؟

حدقت فيه ايما ملياً ثم اجابت بكلا صريحة ، وأردفت :

- الا انك تشبه والدي الى حد ما ، وافترض ان تكون عمي روبرت .

- انا هو (اجاب روبرت مبتسماً ، وذابت البرودة التي واجه بها جولي ، في كنف سحر ايما) ومن أخبرك اني اشبه والدك ؟

- امي اخبرتني هذا (ورفعت الطفلة نظرها نحو والدتها وسألتها) اليس كذلك ؟

اومأت جولي برأسها موافقة ، بينما لم تفارق نظرات روبرت وجه الطفلة .

ترددت ايما قليلاً الا انها استدركت ، وانفها يختصر تكشيرة .

- لكن ، لماذا تأخرت في الحضور ؟ وأين هي جدتي ؟ لقد قالت لي امي انها ستأتي لاستقبالنا . اين هي ؟

انتصب روبرت ثانية وهو ينظر حوله متوسلا وجود حمال ينقل الأمتعة . ثم عاد ينظر الى الطفلة .

- لم تستطع جدتك المجيء ، اذ هي متوعكة .

فجأة بادرته جولي بنظرة سريعة ، وقد وبختها نفسها لسوء تقديرها الأمور .

بدا روبرت واثق النفس معتادا اعطاء الأوامر . وأحست جولي بضيق بداخلها كونه سيتولى مسؤولية تدبير امر وصولها والطفلة متفرداً على عادته المتعجرفة من دون أن يستشيرها في شيء أو يقدم اليها ايضاحا ، أو حتى أن يخبرها اين هي والدته ، وما سبب توعكها .

- هيا بنا ، نتوجه الى حيث اوقفت السيارة ، وفي طريقنا الى المنزل يمكننا ان نكمل حديثنا .

دست ايما يدها في يد امها تشد انتباهها ، وهمست :

- ما رأيك ، هل ننطلق الآن ؟

كانت نبرة صوتها متفاوتة القوة فلم يستطع روبرت منع نفسه من سماع ما قالته .

اجابت جولي وهي تجهد بابتسامة :

- اعتقد ذلك ، هيا بنا ، وفور وصولنا نستحم ونبدل ملابسنا . هذا ، الى انك تبدين تعبة سيدتي الصغيرة .

صعد روبرت الى جانبها خلف المقود وأدار محرك السيارة بعصبية ظاهرة . سنتيمترات قليلة كانت تفصل موضع ساقه عنها ، فما كان منها الا ان تنحت قليلا . وللحظة شعرت بدفق من الذكريات ، كانت اعتقدت انها نسيتها . لكن حقيقة الحال لم تكن كذلك . وساءلت نفسها : اليس اقرب الى الواقع القول ان الفكر يسدل ستارة من النسيان على الأشياء المراد نسيانها ؟ ومتى مزقت هذه الستارة . . .

كان روبرت يجيد القيادة ، وبدت انامله تعالج مقود السيارة بسهولة ومهارة ، ونظره على الطريق امامه . وما ان خف الازدحام في الطريق حتى

بادر روبرت قائلاً :

- توجد علبة سكائر في الصندوق الصغير امامك ، اذا ما رغبت في التدخين .

- نادرا ما ادخن . (اجابت جولي وهي تستعين بايماءة من رأسها ثم أردفت) ارجو الا تكون حال والدتك الصحية خطيرة .

حدجها روبرت بنظرة قبل أن يجيب .

- اصابها زكام لا اكثر .

بادرت ايما :

- الى اين تأخذنا ، عمي روبرت ؟

سؤال الطفلة هذا ، كان ما يخالج ذهن جولي منذ اللحظة التي تركوا فيها المطار . الا ان الكلام استعصى عليها آنذاك .

- نحن متوجهون صوب المدينة ، عزيزتي (اجاب روبرت) فأنا اسكن هناك ، في شقة ، هل ترغبين في رؤيتها ؟

التفتت جولي بنظرة سريعة تسأله :

- اين هي والدتك ؟

للحظة ، بدا وجه روبرت قاسي التعابير .

- لا تقلقي ، جولي ، والدتي في انتظارنا .

- لست قلقة ! (وملكت صوتها حدة لم تفلح في اخفائها . اذ هي كرهت الجو المتوتر الذي كان لا يكف عن اشاعته مذ التقاها . حتى ان ايما نفسها شعرت بهذا الجو . وهتفت بانفعال) اتقصد ان جدتي ستكون في انتظارنا في الشقة ؟

- نعم ، انها مشتاقة الى رؤيتك ثانية .

بدت نبرة روبرت مختلفة تماما وهو يتحدث الى ايما ، على رغم التصنع الذي شابها ، او هكذا ظنت جولي . في اي حال ، وبعد كل ما كان بينهما ، لم تكن هذه تنتظر منه استقبالا حارا . الا انها كانت تفضل الغضب عنوانا للقائهما على هذا التصنع الحضاري البارد الذي يبعث القشعريرة .

استجمعت جولي شجاعتها ، اذ كان عليها أن تعرف حقيقة الأمر وبادرته ثانية :

- اذن ، والدتك تسكن معك ؟

هز روبرت رأسه نفيا .

- كلا ، فهي تركت منزلها في ريتشموند كما تعلمين ، وهي الآن تقطن شقة خاصة بها .

لم يكن في تصرف روبرت ما يشجع جولي على تقبل الوقائع في سهولة . هذا ، الى انه لم يأت بكلمة على ذكر مايكل . وتساءلت جولي عن السبب . هل لأن حضور ايما يمنعه من ذلك ؟ او أن هناك سبباً آخر ؟ غير انه ، في ظنها ، مدرك ان في استطاعتها وابنتها الآن ، بعد مضي ثلاثة اشهر على الحادثة ، أن تتقبلا الأمر بواقعية ، على رغم ما فيه من ألم وأسى . ولم يكن معقولا ان تتطرق جولي الى هذا الموضوع من تلقائها ، ففضلت الصمت .

قطعت ايما الصمت المخيم :

- هل سيكون في امكاني رؤية قصر باكينغهام من نافذة غرفتي ؟

التفتت جولي نحو ايما بنظرة لبست ابتسامة مهذبة ولفتتها قائلة :

- لندن ليست مثل راتون ، عزيزتي . فالأبنية الشاهقة متراصة متجانبة الى درجة لا تسمح برؤية اشياء كثيرة .

- وماذا نستطيع أن نرى اذن ؟ البحر ، ربما ؟

أطرقت جولي للحظة ثم قالت :

- حتى البحر لن يكون في مدى الرؤية (واضافت بلهجة باردة) اغلب الظن مزيد من الشقق والأبنية .

فجأة ، تدخل روبرت قائلا :

- كفي عن دفع الطفلة الى النفور من المكان الذي ستنزل فيه ، حتى قبل أن تراه (ثم ادار رأسه ناحية ايما موضحا) في الواقع ، يمكنك رؤية قصر باكينغهام من نافذة غرفتك .

توردت وجنتا جولي لكلامه . اما ايما فقفزت فرحة للخبر .

- هل هذا صحيح ؟ وهل الشقة مرتفعة الى هذا الحد ؟

- انها شقة في ناطحة سحاب . انها ، في الواقع ، في الطبقة الأخيرة من احدى ناطحات السحاب .

- يا الهي (انفجرت الكلمة من فم ايما لوقع كلامه . وأردفت) كيف الصعود اليها ؟ هل هناك سلالم كثيرة حيث ندور وندور صعدا ؟

- بل هناك مصاعد .
أوضحت جولي وهي تحاول الحد من سخطها . ثم تبينت ان توضيحها هذا لايما لم يكن كافيا ، الا انها كانت تعبة . لكن ، الم يكن في استطاعة روبرت أن يتولى هذه المهمة ؟
وبالفعل ، بادر روبرت ، موجها كلامه الى ايما ، متجاهلا وجود جولي :
انها مصاعد كهربائية . تضغطين زرا يحمل رقم الطبقة التي تقصدينها والمصعد يتكفل بالأمر .
الا ان ايما سارعت تستفسر بمنطقها المجتهد .
- لكن ، اذا كان المصعد متوقفا في احدى الطبقات العليا وانا في الطبقة الأرضية فكيف السبيل الى استعماله ؟
ابتسم روبرت وهو يرمق جولي ، غير ان هذه اشاحت بنظرها ، اذ لم تستطع ان تستوعب فكرة ان روبرت سيحظى بحب الطفلة ما لم تكن هي متيقظة لهذا الأمر . قد يكون في سلوكها انانية ، غير انه شيء لا تستطيع التسليم به ، اقله ليس حاضرا ، خصوصا بعد وفاة مايكل .
آه ، لماذا كان عليه ان يموت ؟ ساءلت نفسها للمرة المليون ، فعالمها كان يبدو جنة ، آمناً ، اما الآن فقد انهار كل شيء . لم ينتبه روبرت لقلقها الطارىء هذا ، ولا شعرت ايما به .
- سؤال وجيه (اشار روبرت يرد على تساؤل ايما) حسنا . تضغطين زرا آخر والمصعد يتحرك اوتوماتيكيا الى الطبقة التي أنت فيها . والحال ذاتها في ما لو كنت في احدى الطبقات العلوية والمصعد في الأسفل . علما ان في المبنى حيث شقتي ستة مصاعد ، ذلك انه مبنى ضخم .
كان لشرحه هذا انطباع قوي في ذهن ايما ، الا انها استدركت :
- ماذا يحدث في ما اذا طرأ عطل على المصعد ؟ او اذا انقطع التيار الكهربائي ؟
- هناك سلالم حديد تستعمل في الحالات الطارئة . انا ، شخصيا ، لا اكترث لاستعمال هذه السلالم . هل تفضلينها انت ؟ لا اظنك فاعلة . فهاتان الساقان الصغيرتان ستعجزان قبل أن تصلي .
ضحكت ايما لملاحظته . اما جولي فجهدت في الالتفات اليها مبدية

اهتماما لحديثها رغما منها .
كان روبرت قد وصل الى حي هادىء . ثم توجه الى باحة بناء ضخم عبارة عن مجمع شقق مفروزة . اوقف السيارة وعلى رغم المطر المتساقط استطاعت جولي أن تتبين نوع المبنى الفخم . الباحة المصونة تزنر حدائق تحيط بالبناء ونوافير الماء في غير مكان فيها . والدرجات القليلة في مدخل البناء تقود الى باب زجاج متحرك دوار . ومن خلال زجاج الباب يستطيع حاجب ان يراقب الوافدين الى الداخل . وما ان لمح هذا سيارة روبرت حتى بادر يحييه بتهذيب فرد روبرت التحية باشارة من يده فيما هو يترجل .
ما ان فتح روبرت صندوق السيارة ليخرج الحقائب حتى ترك الحاجب مكتبه وهرول في اتجاههم محيياً :
- طاب يومك سيدي ، هل استطيع ان اساعدك ؟
هز روبرت رأسه نفيا فتساقطت قطرات من ماء المطر كانت علقت بشعره الكث :
- شكرا سأتدبر الأمر بنفسي . انه يوم بائس ، اليس كذلك ؟
- حقا انه كذلك سيدي .
اجاب الحاجب نوريس وهو ينظر بحشرية الى جولي وايما اللتين كانتا ترجلتا وقبعتا بجانب السيارة ، وفي عيونها ضياع وغربة .
قطع روبرت على نوريس استرسال نظراته المتسائلة موضحا :
- انها زوجة اخي وابنتها . (ثم وضع الحقائب ارضا ليقفل باب الصندوق ، وأردف) ستبقيان في ضيافتي لبضعة ايام . لقد وصلتا لتوهما من مالايا .
اتسعت حدقتا جولي اذ ادركت ، على غير ما هو متوقع ، انهما ستمكثان في شقة روبرت . غير انها لم تستطع قول اي شيء في حضرة نوريس واكتفت بالتحديق في عيني روبرت . اما هذا الأخير فبدا غير مبال لرد فعلها وحمل الحقائب وأشار اليهما ليتقدما نحو المدخل .
بدا المصعد ضيقا لوجود ثلاثة اشخاص فيه ، اثنان منهم بالغان ، اضافة الى حقائب السفر . كما بدا جوه متشنجا ، وكان على جولي ان تقول شيئا ، اي شيء :
- روبرت ، لماذا علينا أن ننزل عندك ؟

في هذه الأثناء كان روبرت مستندا ظهره في استرخاء الى حائط المصعد ، والحقيبتان مشتتان بين ساقيه المنفرجتين ، فرد عليها قائلا :

ـ الآن ؟ الآن جولي ؟ (ثم توجه بكلامه الى الطفلة) حسنا ، ايما ، ما رأيك ؟

لم تنتبه ايما الى مغزى حوار الاثنين المتناقض ، لصغر سنها ، بل افترت عن ابتسامة قائلة :

ـ هل يستغرق الوصول الى الطبقة العلوية الأخيرة طويلا ؟

ـ كلا ، سنصل في ثوان قليلة . انظري . . . اترين الضوء الأحمر المتنقل وراء هذه الأرقام ؟ انه يشير الى الطبقة التي نحن في موازاتها . . . اترين ؟ اما نحن ، فالى الطبقة العليا ، في القمة .

ازدادت فرجة حدقتي ايما .

ـ آه ، نعم ، انظري امي ، نكاد نصل . يا الهي . احس بفراغ في معدتي .

حمل روبرت الحقائب ، واتجهوا نحو الباب الآخر . وما ان كادوا يصلون اليه حتى فتح واطل منه رجل يرتدي بزة سوداء ، في متوسط عمره ، ذو شعر زنجبيلي يشوبه بعض من شيب ، وشاربين بلون شعره .

بادر الرجل يستقبل روبرت بحرارة ووجهه المستدير يشع :

ـ اهلاً ، سيدي . سمعت صوت المصعد يتوقف فقلت للسيدة بمبرتون لا بد أن تكون انت القادم . وقد صدق حدسي .

ابتسم روبرت ابتسامة خفيفة وقال :

ـ انت انسان كفؤ . خذ هذه الحقائب الى الداخل .

ـ نعم ، سيدي .

تقدم الرجل يتسلم الحقائب فيما روبرت يرمق جولي والتردد في نظراته ثم أوضح قائلا :

ـ جولي ، هذا هالبيرد انه يلازمني أنّى ذهبت . انه ، اذا صح التعبير ، رجل لمختلف الأعمال ، وهو قادر على أن يتعاطى كل الأمور .

افترت جولي عن ابتسامة جندت لها قسمات وجهها وحيت الرجل :

ـ طاب يومك ، هالبيرد .

ـ طاب يومك سيدتي . وأنت ايضا ، آنستي (وخص هالبيرد الطفلة

بنظرة حنونة) هل كانت رحلتكما مسلية ؟ لا يبدو اليوم مثاليا لمثلها ، اليس كذلك ؟ يوم بائس .

ـ بائس ، حقا . (وافقت جولي . اما ايما فبادرت الرجل بحشريتها المعهودة) لماذا لم يغز الشيب شاربيك ، كما هي حال شعرك ؟

ـ ايما !

هتفت جولي مستنكرة سؤال طفلتها . وغرق كلا الرجلين في ضحكة مفرقعة .

حمل هالبيرد الحقيبتين وهو يرد على سؤال ايما :

ـ لست ادري ، آنستي الصغيرة ، يبدو ان الصقيع لم يصل بعد الى هذه البقعة .

ـ ماذا تعني ؟ (سألته ايما عابسة . فتدخل روبرت ملاحظا) يمكنك مناقشة ميزات مظهر هالبيرد في ما بعد ، ايما . تعالي الآن ، فجدتك في انتظارك .

وللحال لاحظت جولي بمرارة ان شوق الجدة الى رؤية حفيدتها لم يدفعها الى أن تأتي الى الباب لاستقبالها . ووبخت نفسها اذ لم يمض على وصولها اكثر من ساعة وها هي تفسح للواقع المستجد ان يؤثر عليها سلبا .

دعاها روبرت الى الدخول وقد خفت حدة نبرته :

ـ تفضلي ، جولي . (الا ان هذه ارتدت الى الوراء وقالت باصرار) بل انت دلنا على الطريق ، فأنت سيد الدار .

قست نظرات روبرت وهو يحدق في عينيها الخضراوين . ومن دون أن ينبس بكلمة ، أخذ بيد ايما وعبر من خلال الباب . تبعتهما جولي متباطئة ، وكعبا حذائها يغرقان في وبر السجادة الناعمة التي تغطي ارض المدخل المفضي الى الصالون . محفورات خشبية كان روبرت اتى بها من بلدان مختلفة ثبتت على الجدران تعلو جدرانيات رائعة ، وفي زاوية طاولة من خشب الأرز عليها اناء من الجاد الصيني لا يثمن .

لم يتوقف روبرت في طريقه الى الصالون ، ليفسح لهما المجال لخلع معطفيهما . وفتح الباب تاركاً ايما تتقدمه . وتناهى الى جولي صوت حماتها الفرح لرؤية حفيدتها . ثم دخلت هي الأخرى الى الصالون الفسيح .

كان شاسعا حقا ، يمتد من اول الشقة الى اخرها ، جدرانه صفائح من

زجاج . وقبل أن تتمكن جولي من رؤية الداخل جيدا ، وقع نظرها على المرأة المستلقية على كنبة قرب النافذة ، تقبل ايما ، وتبدي اعجابها بنموها السريع ، ذلك انها عرفتها طفلة تدب يوم رأتها أول مرة .

انتبهت لوسي اخيراً الى وجود جولي ، فمدت يدا تصافحها وهي تغمر ايما باليد الأخرى ، وقالت :

ـ عفوك جولي ، عزيزتي ، لكن لقائي بايما ثانية ، اخذ مني البال . . . خصوصا بعد كل ما حدث .

استجابت جولي للعاطفة الظاهرة في صوت لوسي وانحنت نحوها تقبل خدها ثم قالت تؤكد صدق عاطفتها :

ـ يطيب لي ، انا ايضا ، ان القاك ثانية ، لوسي .

الا انها لاحظت ، متأخرة ، ان لوسي لم تعبر عن بهجتها برؤيتها هي ، لكنها لم تبد امتعاضا . ثم جلست بقربها وشرعت تفك ازرار معطفها بعصبية .

بادرت لوسي قائلة :

ـ اعتذر عن عدم تمكني من الذهاب الى المطار لاستقبالكما ، اذ اصر روبرت على ان ابقى في فراشي ، بعد الزكام الشديد الذي اصابني .

اجابت جولي ، وكأن الأمر لم يضايقها اطلاقاً :

ـ لا بأس ، كيف حال صحتك الآن ؟

افضل بكثير . (ونظرت لوسي الى روبرت الذي كان واقفاً يشهد حوارهما وتقطيبة ترتسم على وجهه وسألته) هلا طلبت ، عزيزي ، من هاليرد ان يأتينا ببعض الشاي ؟ اني متأكدة ان جولي ترغب في فنجان دافىء . ما رأيك ، عزيزتي ؟

اومأت جولي ايجابا وهي تتحاشى النظر الى روبرت كي لا تواجه نظراته الناقدة :

ـ شكرا ، فنجان شاي . نعم ، هذا ما ارغب فيه .

ـ اه ، هناك الكثير لنقوله ! (هتفت لوسي وهي لا تزال تحضن الطفلة) اما انت ، ايما ، فعلينا ان نتعارف جيدا ، اليس كذلك ؟

كان هاليرد ، في هذه الأثناء ، يضع الحقائب في غرفتي الضيفتين ، فذهب روبرت في اثره ليطلب منه احضار الشاي .

ـ هل تقطنين هنا جدتي ؟

سألت ايما وهي تبدي اعجابا بما حولها . اذ هي لم تكن تعودت ترفا كهذا في راتون . كانت الغرفة ، على وسعها ، مكتملة الاثاث ، يغمرها الدفء ويسكنها الذوق ، مما اثر في جولي نفسها رغما عنها . لذا فان مسكنا كهذا كان اكثر من ان تستطيع طفلة ان تتوقعه ، فبدت مأخوذة خصوصا بقمة المدفأة الاصطناعية التي انتصبت في وسط الدار .

اجابت لوسي حفيدتها :

ـ كلا ، عزيزتي . شقتي ليست بهذه العظمة . انها تقع في شارع آخر بعيد . وستزورينها في مناسبة ثانية . اما الشقة هذه فهي مخصصة للمناسبات والدعوات والحفلات التي يكثر عمك روبرت من اقامتها ، وطبيعي ان تكون بهذه العظمة وهذا المستوى .

ـ للحفلات ؟ (هتفت ايما) اتقصدين انه يقدم حفلات استعراض ؟

قهقهت لوسي عاليا ، بينما اظهرت جولي تبرما . ذلك ان احدا لم يوضح لها بعد حقيقة وجودهما في شقة روبرت بالذات .

* * *

اغلقت جولي الباب خلفها ومشت الى قرب النافذة ، ونظرت عبر الستارة المسدلة نحو المدينة التي تتلألأ بالنور . وعلى رغم ان الشقة تقع في وسط المدينة فقد كان الهدوء يخيم على المكان الذي بدا صامتا ، بعيدا ، معزولا كمقصورة قبطان ، حيث لا يستطيع المرء ان يتجاهل احساسا مثيرا كونه يسكن مكانا فخما كهذا . الا ان جولي احست بكآبة تغمرها .

فوجئت بباب الصالون يغلق . فاستدارت لتجد روبرت بمبرتون .

تأملها هنيهة ، فبدا الارتباك في تعابيرها . ثم تقدم نحو خزانة امتلأت بأنواع المشروبات .

سألها :

ـ ماذا ترغبين أن تتناولي ؟

وشرع يسكب لنفسه فنجان شاي .

تنفست جولي عميقا محاولة في الوقت ذاته الا تظهر ما يساورها من

قلق .

- كوب من الحليب اذا سمحت .

ملأ روبرت لها كوبا ، وما ان اخذ طريقه اليها حتى التقت نظراتهما ، فبادرته جولي :

- هل تنوي اطلاعي على سبب اقامتنا هنا ؟

تردد روبرت وهو يفرك راحتي كفيه . ثم سألها بصوت جاف .

- وهل من اهمية لهذا ؟ الا اني اؤكد لك ان نواياي لا تشوبها الأنانية .

- ماذا يفترض فيّ ان افهم من هذا ؟

- ما اقوله لك حرفيا . فوالدتي غير قادرة على استضافتكما في مسكنها . وكونك ارملة مايكل ، فمن الطبيعي ان تكوني هنا على الرحب والسعة .

- لا تبدو مرحبا جدا .

ورشفت جولي من كوبها ، تخفي اضطرابها .

بدرت من روبرت حركة من يده اوحت بعدم اكتراثه لقولها ، وعلق قائلا :

- اذن ، اني آسف لذلك .

انفجرت جولي صارخة :

- لست آسفاً اطلاقاً . (لكنها ندمت لقولها هذا . ثم استطردت) ما لا استطيع فهمه لماذا كان على والدتك ان تعرض علينا في رسائلها ، استضافتها لنا ، والآن وقد اضحت وحيدة لم تعد مستعدة لاستقبالنا ؟

قال روبرت يسألها بصوت بارد :

- هل كنت توافقين على العودة لو علمت سلفا انكما ستقيمان عندي ؟

زمت جولي شفتيها :

- كلا ، طبعا .

- اذن ، هذا كل ما في الأمر .

ومشى الى حيث ابريق الشاي ليسكب لنفسه فنجانا آخر . تنهدت جولي قبل أن تستأنف استجوابه :

- اذن ، لقد عدنا بناء على مزاعم خاطئة ؟

- كفي عن كلامك المأساوي هذا جولي . لقد كان من الواجب أن نستدعيك الى هنا . وتلك كانت الوسيلة الوحيدة .

اعترت جولي موجة من السخط ، وقالت :

- لكن ، لماذا كانت عودتي ضرورية ؟ فوالدتك لم ترغب قط في وجودي . . . عندما كان مايكل لا يزال حياً ، والآن وقد توفي مايكل ، لست ارى سبباً لأن تراني هنا ثانية .

رشف روبرت من فنجانه ، ثم رفع نظره اليها وقال :

- ليس لدينا متسع من الوقت ، فوالدتي تحضر نفسها للعشاء . اريدك ان تخبريني قبل حضورها حقيقة ما حدث .

- هل تعني مسألة وفاة مايكل ؟

- بالطبع .

احنت جولي رأسها :

- وما الطبيعي في سؤالك ؟ فأنت لم تهتم كثيرا حتى الساعة .

غمغم روبرت بكلمات مبهمة قبل أن يرفع صوته قائلا :

- لا اريد ان اضيع وقتي معك بالجدل . اخبريني فقط تفاصيل الحادثة . كان صعبا علي أن ابحث معك امراً كهذا في حضور امي . كذلك ، فان والدتي ستكون هي الأخرى شديدة التأثر حيال طرح موضوع كهذا في حضورها .

رفعت جولي نظرها تحدق فيه بغضب :

- اما انا فلا يمكن أن اتأثر بهذا ، في رأيك . كان . . . كان مايكل زوجي . هذا كل شيء !

تناول روبرت سيكارا من علبة موضوعة على طاولة صغيرة . اشعله بعصبية ظاهرة ، تبينتها جولي في تقلص عضلات وجهه وفي تقطيبة فمه .

عاد يسألها وقد اعتدل في وقفته :

- ماذا تريدينني ان اقول ، جولي ؟ اتريدين أن تسمعي تفاهات وأحاديث اسى ملفقة ؟ لا اظنك تريدين هذا . فكلانا يعرف ان كلامي في الموضوع لن يعبر عن حقيقة مشاعري . غير اني احببت اخي ، ايا يكن رأيك ، وبالتالي اريد معرفة ظروف وفاته . هلا اخبرتني ؟

ادارت له ظهرها ، اذ لم تعد تتمالك ان تنظر اليه وهو يتحدث في امر لا يزال يسبب لها الماً .

ثم قالت بصوت لا حياة فيه :

- لقد . . . قرأت تقرير الطبيب . لكنك لم تأت لتعوده .

- كلا ، الواقع اني نادم جداً لأني لم افعل .

قال هذا وبدا صوته متهدجاً .

- حسناً ، لست ادري ما الذي تبغي معرفته . فأنا لم اكن على علم بالنوبة الأولى التي اصابته ، اذا كان هذا يهمك . وقد طلب مايكل من الطبيب الا يفشي حقيقة وضعه الصحي الى احد . يومها ، ظننت انه ازداد وزناً . فقد كان شرها حيال بعض انواع المأكولات المشبعة بالتوابل . في أي حال ، لم يكن مايكل يهتم لصحته . الا انه حين اصابته نوبة قلبية ثانية ، ولم يمض وقت طويل على اصابته بالأولى ، لم تكن لديه المناعة الكافية ليخرج حياً .

تهدج صوتها ، وهي تجهد في ضبط اضطرابها . ومر في ذهنها شخص مايكل ، فهو يوم وفاته كان لا يزال فتياً ، انساناً طيب القلب . ولم يكن يستحق الموت .

قطع روبرت حبل الصمت الذي خيم تلك اللحظة وقال :

- اذن ، هذا ما حدث . (صمت قليلاً قبل أن يسألها) هل عانى الماً كبيراً ؟ أعني ، قبيل وفاته ؟

اومأت جولي برأسها نفيا .

- كلا ، فالأدوية التي اعطوه اياها ابقته تقريبا في حال مستمرة من الغيبوبة .

- انت تدركين اني ، لو علمت بحاله ، لكنت ذهبت لرؤيته . . . لو اني تصورت فقط . . .

- لم يسمح لي بأن ارسل في طلب احد . لا ادري سبباً لذلك ، الا اني لم استطع ان اخالف رغباته .

- لو لم اكن مسافرا خارج انكلترا حين وصلنا نبأ وفاته ، لكنت حضرت مأتمه ، ثم ان مراسم الدفن تمت بسرعة اكبر على عكس ما كان سيحصل لو هي اجريت هنا .

- نعم (قالت جولي وانهت شرب كوبها ثم ابتعدت عن النافذة ، بعيدا عنه ، وأردفت) هل هذا كل ما أردت معرفته ؟

استدار في مكانه وبدا متجهما لعدم الجدية في سؤالها :

- اتراك غير مبالية للأمر ؟

- غير مبالية ! (هتفت صارخة وقد وضعت يداً حول عنقها . وأكملت مدافعة) يا الهي ! أوتظن أيضاً اني غير مبالية ؟

- ألست كذلك ؟ اذ اني لا ارى دموعا في عينيك الخضراوين !

كادت تختنق .

- ما تقوله غباء !

- لماذا ؟ هل انا مخطىء ؟ هل انك حقا امرأة مفجوعة ؟

حدقت فيه جولي طويلاً والغضب يشد من عزيمتها المتهالكة ، ثم سألته :

- كيف تجرؤ على ان توجه الي كلاما كهذا ؟ لم اطلب من احد ان يأتي بي الى هنا . كذلك لم استجد عائلة بمبرتون النافذة أن تتدبر امري . لا اريد منكم أي التفاتة ، خصوصا منك !

امتقع وجه روبرت وبدا واجما .

- ما تقولينه صحيح ، جولي . كما انه يدلل عن جوهرك ، وعن حقيقة كونك انسانة حقيرة !

خطت جولي نحوه تريد أن تصفعه لتبعثر شرارات القسوة من وجهه ، مرة واحدة والى الأبد . الا انها ما كادت تهم بذلك حتى فتح الباب وظهرت عند عتبته لوسي بمبرتون .

بادرت لوسي قائلة ، اذ فوجئت برؤيتهما وحيدين :

- مرحبا . اراك لا تزال هنا ، روبرت ؟ (وأردفت وقد البست صوتها نبرة توبيخ) ظننت انك مرتبط بموعد في تمام السابعة والنصف . لقد فاتك الموعد ، كما تعلم .

اطفأ روبرت عقب سيكاره وألقاه بلا اكتراث في المنفضة . ثم اجاب والدته بثقته التي لا تفارقه :

- لست في عجلة من امري ، امي .

عادت نبرة التوبيخ واضحة في صوتها :

- لا اظن ان باميلا توافقك رأيك هذا ، عزيزي . (ورمقت جولي باستخفاف قبل أن تستطرد في القول) لا بد أن تتعرفي الى باميلا ، جولي باميلا هيلينغدون . لا بد انك سمعت بهذه العائلة . باميلا وروبرت

سيتزوجان في الربيع .

حاولت جولي الا تظهر اهتماما للأمر ، وسألت تترجم احساسها :

ـ احقاً ما تقولين ؟ الا اني اشك في فرصة لقائي اياها . اذ كل منا تتحرك في فلك مختلف .

في هذه اللحظة ، كان روبرت يهم بالخروج من الغرفة . فاستدار فجأة لسماعه كلام جولي ، وحدجها بعينين قاسيتين . ثم بادرها :

ـ لا افهم ماذا تقصدين بكلامك ، جولي ؟

قاطعته لوسي وقد ذهلت هي الأخرى ، فيما روبرت يرمق جولي بنظرة قاسية لم تستطع هذه ان تتبين مغزاها :

ـ آمل في الا تكون بيننا علاقة سلبية يا جولي .

ثم اكمل روبرت قائلا :

ـ ماذا اردت في الحقيقة ان تقولي ؟

تخضبت وجنتا جولي على رغم محاولتها البقاء هادئة ، وأجابت بتصميم :

ـ ما اقوله واضح بالتأكيد . . . فأنا لا يمكنني البقاء هنا . وفي ايام قليلة مقبلة ، اعتزم البحث عن عمل ، ومكان آخر اعيش فيه مع ابنتي .

ـ ماذا ؟ (صرخت لوسي وهي تضع يدا مرتعشة على صدرها . ثم تداعت على مقعد قريب منها) آه ، جولي . ليس معقولا ان تكوني جادة في ما تقولين !

تدخل روبرت يحسم الأمر :

ـ ليس مهما ما تقول . فهي ليست على اطلاع بعد على ما استجد من امور .

ـ اي مستجدات هذه ؟

سألت جولي وهي تعصر اناملها بقوة .

رفعت لوسي نظرها نحو ابنها تستطلعه :

ـ الم تخبرها بعد ؟

ـ لم تسنح لي الفرصة لأفعل .

اجابها وأصابع يده تتوغل في شعره . عندما يكون مضطربا كما هي حاله الآن ، يتماثل الى مخيلتها آخر لقاء لهما قبل سفره الى فنزويلا .

وتساءلت الى متى ستستطيع ساقاها أن تتحملاها . وعادت تسأله :

ـ هلا اخبرتني بما علي معرفته ؟ هل هناك سبب يمنعني من القيام بعمل ما ارغب فيه ؟ (فجأة ، رفعت نظرها نحوه ، وعيناها ترقبانه) لأنه اذا كان هناك شيء من هذا القبيل ، فسأرفضه بكل ما اوتيت من قوة .

تدخلت لوسي قائلة :

ـ جولي ، ارجوك الا تعقدي الأمور ! فنحن ، فقط ، نبغي عمل ما هو في مصلحتك ومصلحة ايما .

ازاح روبرت كم قميصه ليتبين الوقت في الساعة الذهبية في معصمه مما زاد في توتر اعصاب جولي وتشنجها . فهتفت :

ـ لا اريد ان تتأخر عن موعدك بسببي . قل لي ، فقط ، ما عليك ان تخبرني به . بعدها ارجو ان ترافقك السلامة !

بدت عينا روبرت مليئتين بالصقيع . وأدركت جولي لو انهما كانا وحيدين ، لكانت اشياء كثيرة قيلت بينهما يمكن أن يندما لقولها لاحقا .

قطع روبرت لحظة الصمت الذي خيم ، قائلا :

ـ اخي مايكل ترك وصية .

ـ اعلم ذلك . لقد ترك حصته في الشركة للعائلة . ما همني هذا ، فلست في حاجة الى شيء .

ـ هراء !

اجابها روبرت وبدا للحظة فاقد الصبر . ثم ابتعد ليسكب لنفسه فنجانا آخر من القهوة . رشف منها بينما والدته تبدي امتعاضها من هذا الجو المشحون . وسألت :

ـ الا يمكننا أن نتحاور برباطة جأش ؟

ـ حسنا ، سأحاول الا اطيل . مايكل ترك حصته في الشركة للعائلة لتحفظ حتى بلوغ ايما الواحدة والعشرين . والى ان يحين ذلك سأكون . . . حاضنها الشرعي .

ـ مستحيل !

ـ بل هي الحقيقة (اجابها روبرت غير متأثر . وأردف) لا لزوم لأن اشير عليك بعدم مقاومة الأمر الواقع !

اغمضت عينيها ، وأحست انه سيغمى عليها . وسمعت لوسي

تصرخ :
- بحق السماء ، روبرت ، يكاد يغمى عليها !
واذا بيدين قويتين ، لم تستطع التملص منهما ، اجلستاها بثبات في المقعد . ارخت رأسها على ظهر المقعد الطري ، وقد تضاءل احساسها بالاغماء . فتحت عينيها ثانية لتجد روبرت يهم بمناولتها كوباً يحوي سائلا اصفر يميل الى الاحمرار .
- اشربي هذا ، سيجعلك تشعرين بتحسن .
- لا شيء يمكن أن يشعرني بتحسن . ابعده عني !
- لا تكوني حمقاء !
قالت لوسي وهي منفعلة :
- عليك الآن أن تذهب ، روبرت . استطيع أن اتدبر هذه المسألة بنفسي .
- هل انت متأكدة ؟
- بالطبع ، علينا أن نفهم جولي حقيقة وضعها الآن باعتبارها ارملة مايكل . . .
قاطعتها جولي ساخطة وهي تنهض من مكانها :
- كفي عن التكلم علي وكأني لست هنا .
حدق فيها روبرت وقسمات وجهه الباردة على حالها وقال :
- اذن ، هل انت مستعدة لنبحث الأمر منطقيا ؟
- منطقيا ؟ منطقيا ؟ وأي منطق هذا ، ايما طفلتي . . .
قاطعها روبرت :
- لكن حضانتها مسؤوليتي .
هزت جولي رأسها في انكسار ، متسائلة :
- لماذا فعل مايكل امرا كهذا ؟
بدا التبرم في صوت لوسي ، وقالت :
- لا تكوني عاطفية كنساء الشرق ، لقد ادرك مايكل انه في حال حدوث اي شيء له ، فليس من شخص آخر كأخيه اهل لتربية الطفلة .
اعترضت جولي موضحة :
- لكني امها !

أردفت لوسي بصوت يشوبه الازدراء :
- نعم ، لكن ماذا في امكانك ان تقدمي اليها من دوننا ؟ هذا ، الى انك لم تملكي شيئا في حياتك !
قاطعتها جولي ثانية وقد امسكت بطرف المقعد :
- ليس المال هو كل شيء !
- لم اذكر في كلامي كلمة مال .
- لكن ، هذا ما عنيت ، اليس كذلك ؟
- هناك اشياء اخرى يفترض توافرها . . .
سألتها جولي وهي تحبس انفاسها :
- ماذا تقصدين ؟
صرخ روبرت وراحته على مؤخر عنقه يتحسس بها خصلات شعره :
- اوه ، بحق السماء . لنكف عن هذا النقاش ! لا يهم السبب الذي اوجب مايكل ان يفعل ما فعل . فالقرار اتخذ ، وعلينا أن نعمل على تحقيق رغبته بكل ما اوتينا من حسن نية .
كانت رائحة ماء الزهر ، في الكوب الذي في يدها ، كافية لتستعيد وعيها . فوضعت الكوب بقوة على طاولة صغيرة قريبة منها وانتصبت بجهد ثم قالت :
- لن اشارك في تحقيق هذه الرغبة . (صمتت قليلا قبل أن تقول) اعتقد ان هذا هو السبب الذي دفعكما الى الطلب مني ، في رسائلكما ، لاحضر . اليس كذلك ؟ (ثم توجهت بكلامها الى لوسي) كما انك انت كنت تعرفين اني سأرفض العودة في ما لو عرفت حقيقة الأمر .
تنهد روبرت عميقا .
- قد يكون ما تقولين صحيحا . الا ان والدتي رغبت في ان تهون الأمر عليك . هذا ، الى ان الوصية تبقى قانونية وملزمة لك ايا تكن الظروف وبغض النظر عن قبولك أو رفضك .
بلعت جولي ريقها ثم قالت :
- يحق لي الاعتراض عليها .
- يمكنك ذلك (اجاب روبرت موضحا ان اخاه شملها في وصيته برعاية عائلة من قبله هو ، واضاف) لا اظن ان هناك محاميا يقبل ان يتبنى

دعواك . (ثم سألها والقسوة في قسمات وجهه) كيف يمكنك الاعتراض ؟

التفتت جولي نحوه ببطء .

ـ لا بد من وجود وسائل لذلك (وأضافت في ارتباك ظاهر) لا يمكنكما أن تجبراني على ان اعيش هنا .

ـ لا بأس . في استطاعتك العيش اينما يحلو لك . لكن ، لكي تستطيعي البقاء مع ايما ، عليك ، القبول بما ارتأيه في الموضوع .

سألته بصوت مكسور :

ـ وما الذي ترتأيه ؟

ـ ان تبقي هنا الى حين يتم ترميم المنزل الذي اشتريته ، حيث يمكنك أن تعيشي مع ايما ، اضافة الى مربية ستقوم بتعليم ايما .

سألته جولي بصوت تملأه الدهشة :

ـ اتريد أن تقول انك اشتريت منزلا وعهدت الى مربية بتعليم ايما ، ظنا منك اني سأوافق مسبقا على هذا ؟

ـ بل بناء على وصية مايكل .

ـ الا انك ستتزوج قريبا ، فكيف . . . كيف سيكون في استطاعتك تولي حضانة ايما ؟

ـ الى ان يحين ذلك ، انا مصمم على تمضية نهاية كل اسبوع معها . ثم ، بعد أن اتزوج ، لا بد أن تكون هناك بعض الترتيبات الأخرى . هوني عليك جولي فايما لن تكون الا طفلتك ، كما اني رجل واقعي .

صرخت جولي غاضبة :

ـ انها طفلتي حين تقرر انت هذا ؟ اهذه هي حقيقة الأمر ؟ ثم ماذا ، اذا لم تحبذ خطيبتك . . . تلك المدعوة باميلا هذه الفكرة ؟

اوضحت لوسي قائلة وقد ظهرت على وجهها علامات الرضا :

ـ باميلا على علم بالتزام روبرت (واضافت) في الحقيقة ، لا اظن انك بتصرفك هذا تظهرين امتنانا ابدا ، الى درجة يظن المرء ان روبرت سيخطف ابنتك ويمنعها عنك . الواقع ان روبرت انسان كريم جدا .

هزت جولي رأسها استسلاما ، وبدت عاجزة عن مواجهة هدوئها المجرد من كل عاطفة . وغلف قلبها يأس رهيب . كانت مكبلة ، يدين وقدمين . ومايكل هو المسؤول عن كل هذا .

لماذا كان عليه أن يتصرف هكذا ؟ اذ هو الوحيد بين الناس جميعا الذي كان يعرف ولا بد ، انها لا تستطيع تحمل فكرة رعاية روبرت ومسؤوليته عنها .

فجأة ، رن جرس الهاتف . صوته الرنان اخذ يدوي في الهدأة التي خيمت على الغرفة تلك اللحظة . تردد روبرت لحظة . ثم خف الى الهاتف ورفع السماعة .

بادر بصوت اجش :

نعم ؟ (ثم انفرجت قسمات وجهه) آه ، مرحبا ، باميلا . نعم . نعم . اعرف ذلك . . . انا آسف . شيء استجد . لقد وصلا ، نعم . اعرف . . . ادرك ذلك . . . سأحضر بعد قليل .

اشاحت جولي بوجهها ، واذا بهاليبرد يدخل الغرفة قادما من جهة المطبخ ، يضع ازارا يغطي بنطاله الأسود حتى خصره . انتبه الى ان روبرت كان يتكلم بالهاتف فتقدم نحو لوسي قائلا :

ـ العشاء جاهز ، سيدتي ، هل ابدأ باحضاره ؟

نهضت لوسي من مقعدها :

ـ شكرا ، هاليبرد ، سنحضر الى غرفة الطعام في خمس دقائق .

ـ حسنا ، سيدتي .

وانسحب هاليبرد . التفتت لوسي نحو جولي وبادرتها بصوت هادىء :

ـ لا بد انك استنتجت ان روبرت سيتناول عشاءه خارجا . ارجو ان نستطيع كلتانا تناول العشاء معا في غياب جدل مأساوي .

حدقت فيها جولي وسألتها بحدة :

هذا هو مرادك ، اليس كذلك ؟ (واضافت) لم ترغبي قط في ان اتزوج . . . مايكل . وها انت الآن عازمة على التحكم بحياة ايما ، ايضا .

اسرعت لوسي ترد عليها وقد اختفت ملامح التسامح من وجهها :

ـ انني مصممة بمقدار ما كان تصميمك على الانتساب الى هذه العائلة ، حين لم تتمكني من الحصول على روبرت رميت شباكك على مايكل .

شهقت جولي دلالة اشمئزاز لكلامها الا انها لم تنبس بكلمة بل مرت من امام حماتها وفتحت الباب ، وخرجت .

تأملت يديها . كانت راحتاها تنضحان ، وجبهتها تتصبب . امر واحد لا يمكن أن تتصوره الآن ، وهو الجلوس مع لوسي يجبرتون الى طاولة واحدة . ففكت سحّاب ثوبها ، واذ هي تهم في خلعه لتأخذ حماما ، اذا بباب الغرفة ينشق ويظهر روبرت عند عتبته يحدق فيها غاضبا .

بادرها بصوت لا يخلو من حدة :

ـ بحق الجحيم ، ماذا تظنين انك فاعلة ؟ ان هالبيرد ينتظر ليقدم طعام العشاء ، وانا مضطر الى الذهاب .

تشبثت جولي باطراف ثوبها ترفعه وقد ادركت انه لم يستطع أن يراها . وأجابت :

ـ اني لا اعيق احدا . فلتتناول والدتك عشاءها . اما انا فلست جائعة البتة .

ـ بحق الله ، جولي ، كوني عاقلة ! اني احاول ان اكون صبورا . اسألك ، الآن . . . لكني لا اطلب منك ، أو آمرك . بل اسألك ان تذهبي وتتناولي العشاء مع والدتي . كذلك حاولي ان تتصرفي كأن شيئا لم يكن .

ـ لا اظنك جادا في ما تقول !

ـ لكن الا ترين انه لم يكن ليحدث كل هذا ، لو انك كنت مستعدة لقبول . . .

ـ مساعدتك . اليس كذلك ، روبرت ؟ (وشمخت برأسها)كلا ، شكرا ، لا يمكنني ان اقبل مساعدتك .

ـ اذن ، ماذا في نيتك ان تفعلي ؟ (ودلف الى الغرفة وأغلق بابها نصف اغلاق . ثم بدا كأنه فكر ثانية في ما فعل فأعاد فتح الباب ثانية .

ثبتت جولي في وجه محاولته هذه . اذ لن تسمح له بأن يسيطر عليها . يجب الا تسمح بهذا . وأخيرا ، قالت له :

ـ انا . . . لم اقرر بعد . ربما اضطر الى التسليم بمخططاتك في ما خص موضوع ايما . الا اني لست في وارد الاعتماد عليك مستقبلا .

ـ ماذا ستفعلين اذن ؟

ـ سابحث عن عمل . فوجودي في المنزل معظم النهار أو جزءاً منه على الأقل ، لن يكون بذي فائدة ، اذا ما جئت بخادمة لايما . ماذا تنتظر مني

ان افعل غير هذا ، والحال هذه ، روبرت ؟ اتنتظر مني ان ابقى معظم الوقت أقلم اظافري ؟

ـ انتظر منك ان تتصرفي كما يجدر بأرملة مايكل أن تتصرف . . . باحترام ولياقة . (كانت نظرات روبرت اليها تنهكها . وأضاف) ماذا فعلت طوال هذه السنين في مالاي ؟ كيف كنت تملأين أوقات فراغك ؟

ـ كانت اوضاعي تختلف عما هي الآن . كان لي منزل ، زوج وعائلة اهتم بهما .

واستدارت الى ناحية اخرى ، اذ لم تعد تستطيع تحمل نفاذ نظراته الحادة تلك ، فكشفت بذلك ، من دون أن تنتبه ، عن مؤخر عنقها وقسم من ظهرها فبانت بشرتها الشديدة البياض .

تمتم روبرت بصوت اجش قائلا :

ـ لا تزال لديك عائلة (واستطرد بصوت واضح) بالله ، جولي ، لِمَ انت نحيلة الى هذا الحد ؟ كم مضى عليك من دون أن تتناولي وجبة كاملة ؟

فاستدارت بعنف تواجهه قائلة :

ـ ارجوك ان تخرج وتتركني لوحدي . فأنا متعبة . اود أن آوي الى سريري .

ـ جولي . . .

ولم يكمل جملته ، اذ شعر بحركة خلفهما . ولمحت جولي حماتها تقف عند الباب خلف روبرت .

هتفت لوسي مستوضحة :

ـ روبرت ! اراك لا تزال هنا ؟ كنت اعتقدت انك خرجت . وقد اتيت لأرى ماذا . . . ما الذي يؤخر جولي . (وعقد لسانها لحظة رأت جولي . هتفت مستهجنة مشككة) بحق السماء . ماذا يجري هنا ؟

ـ لا شيء ! (اجابت جولي تحسم تساؤلها . ولم تعد تستطيع تحمل هذا الوضع اكثر . فأضافت) هلا ذهبتما ؟ لست جائعة ، فضلا عن اني مرهقة واريد ان ابقى لوحدي .

استدار روبرت مرتكزا على كعب حذائه ، وخرج وهو يقول :

ـ انا ذاهب الآن . طاب مساؤكما .

ردت والدته وهي تواكبه بنظراتها الى مدخل الشقة :

- طاب مساؤك عزيزي . (وما ان سمعت صوت اغلاق الباب الرئيسي حتى استدارت نحو جولي تسألها) هل افهم من هذا انك لا تودين مشاركتي في العشاء ؟

- بالضبط . (اجابت جولي وتبرم طارىء يعتريها . وأضافت) هل كثير ان ينشد المرء راحة مع نفسه ؟

هزت لوسي كتفيها دلالة عدم اكتراثها للأمر ، وقالت :

- كلا ، طبعا . لكن لا تعتقدي اني غبية ، جولي !

حدقت فيها هذه تسألها :

- ماذا تقصدين ؟

انحدرت نظرات لوسي على جولي بقحة ، ثم قالت بصوت جاف :

- هل هناك لزوم لأوضح اكثر ؟ تعرضين نفسك لروبرت وأنت في هذه الحال ؟

ردت جولي بما يشبه الحشرجة ، منكرة اتهام لوسي لها :

- لم اكن اعرض نفسي امتاعا لنظرات روبرت ! لقد دخل علي من دون استئذان .

بدت لوسي غير مقتنعة وقالت :

- لا اصدق ما تقولينه . فابني يعرف كيف يتصرف بطريقة افضل اذ هو لا يدخل غرفة امرأة من دون استئذان .

مدت جولي يدا متعبة متوسلة لوسي ان تخرج :

- اذهبي عني (وأصرت على رجائها لها) ارجوك .

ترددت لوسي لحظة قبل أن تطاطىء راسها وتبتعد الى خارج الغرفة من دون ان تتفوه بكلمة .

هرولت جولي الى الباب توصده بقوة . ثم اسندت اليه ظهرها ، وساقاها ترتجفان . رجت الله في ذهنها متسائلة : الى متى استطيع ان اتحمل كل هذا ؟

٢- بحثاً عن الأمان

استيقظت جولي صبيحة اليوم التالي لتجد ايما تتقافز على حافة سريرها. فتحت عينيها بتردد، وفي داخلها احساس بشر مستطير. وعاودتها احداث الليلة الفائتة. فخبأت رأسها تحت ملاءة السرير، وتمنت ان تبقى على هذه الحال أطول مدة ممكنة.

جاهدت جولي لتجلس في فراشها، وبادرت تسأل ابنتها وهي تحاول ان تطال ساعة يدها التي على طاولة صغيرة قرب سريرها:

- كم الساعة الآن؟ (ولما ادركت الوقت هتفت) لقد تخطت الساعة العاشرة. لِمَ لَمْ توقظيني قبل الآن؟

- جدتي قالت انك كنت مرهقة، كذلك قال عمي انك ستكونين في حال افضل اذا ما شبعت نوماً.

- أتقصدين انهما صحوا؟

- نعم. الا ان جدتي لا تزال في ثياب النوم. لقد تناولت افطاري معها، في غرفتها. ثم اتى عمي روبرت وسألني عما أرغب في ارتدائه عادة.

- حسناً. (تناولت جولي الرداء المنزلي، ثم استطردت تسأل ابنتها) هل غسلت وجهك ونظفت اسنانك؟

- نعم. عمي روبرت دلني الى كل ما احتاج اليه، كذلك ساعدني ذلك الرجل... هالبيرد.

- السيد هالبيرد، حبيبتي.

رفعت ايما كتفيها غير مبالية:

- حسناً، كائناً من كان. لقد اخرج ثيابي واشيائي الاخرى من حقيبة

السفر ووضعها كلها في ادراج خزانتي (وابتسمت قبل ان تضيف) قال لي اني ابدو اكبر سناً مما انا في الحقيقة.

اطرقت جولي قليلاً قبل ان تسألها:

- هل قال هذا فعلاً؟

- هالبيرد... السيد هالبيرد، قال هذا.

- حسناً. الا اني كنت اتمنى لو انك ايقظتني باكراً، اين هما الآن؟

- جدتي ترتدي ثيابها، وعمي خرج ليحضر السيارة من المرآب، اذ اننا خارجون.

- من ذا الذي سيخرج؟

- عمي روبرت وانا.

اجابت الطفلة متلعثمة بينما بقيت مسحة من الرضا في عينيها، واضافت:

- نحن ذاهبان لمشاهدة المنزل الجديد.

حدقت فيها جولي بتمعن قبل ان تقول:

- هل انت متأكدة ان عمك قال انه سيأخذك معه؟

اجابت الطفلة بعد ان قفزت عن السرير بحنق:

- متأكدة تماماً. كذلك قال انه سيريني قصر باكينغهام.

دخلت جولي غرفة الحمام وفتحت الدش. وضعت قبعة عازلة من النايلون تغطي شعرها لتقيه البلل. ثم خلعت رداءها وقميص النوم وخطت الى تحت الدش.

بعد ان انتهت من حمامها خرجت تلف نفسها بمنشفة. ثم شرعت في ارتداء ملابسها.

سألت ايما تستوضحها بصوت ارادت ان يبدو عادي النبرة:

- متى ستخرجان؟

- بعد قليل، عندما تصبحين جاهزة على ما اعتقد.

- انا؟ (هتفت جولي وهي تستدير على نفسها) وما الغرض في مرافقتكما؟

- حسناً، انت ايضاً ذاهبة معنا، اليس كذلك؟

وبدت الطفلة في حيرة.

اطرقت جولي قليلاً:

- هل قال عمك روبرت اني ذاهبة معكما؟

حاولت الطفلة ان تستجمع فكرها للحظة ثم قالت:

- سألني ان آتي لأوقظك واسألك ان كنت راغبة في فنجان قهوة.

- هل طلب منك هذا فعلاً؟ (تأملت جولي ابنتها بنظرة مستسلمة ثم اضافت) وهل فعلت ما طلبه منك؟

- ماذا؟

- ان تسأليني ان كنت ارغب في فنجان قهوة؟

لوت ايما رأسها اقراراً واجابت:

- لقد سها عن بالي.

- حسناً. نعم، ارغب في فنجان. اذهبي الآن ولا تعودي ثانية، سأكون في اثرك حالما ارتدي ثيابي.

ارخت ايما شفتيها مستسلمة لمشيئة والدتها.

لم تترك غرفتها الا بعدما رضيت عن مظهرها. وسارت بعزم في الممر المفضي الى غرفة الجلوس.

استجمعت قواها، ودفعت دفتي باب غرفة الجلوس، ودخلت، ثم اغلقت الباب خلفها. وخلافاً لليلة الفائتة لم تكن الغرفة خالية.. كانت ايما وجدتها جالستين على كنبة خفيضة قرب النافذة، تتأملان صورة كتاب كانت لوسي تقرأ فيه قصة. فيما انهمك هالبيرد بتنظيف رفوف المكتبة التي غطاها الغبار. التفت نحوها حين دخلت. وبادرها بابتسامة تعوض تجاهل لوسي المتعمد لدخولها عليهم.

توقف هالبيرد عن عمله، قائلاً:

- صباح الخير، سيدة بمبرتون. تفضلي الى غرفة الطعام فقد هيأت لك افطاراً خفيفاً.

- اوه... لم يكن ضرورياً ان تزعج نفسك. ورمقت حماتها وايما، فالتفتتا نحوها لدى سماعهما صوتها.

قالت ايما بصوت بريء:

- جدتي تقرأ لي حكاية.

وزادت لوسي على كلام حفيدتها:

- صباح الخير جولي. هل نعمت بنوم هانىء؟

اجابت جولي ونظراتها على هالبيرد الذي كان لا يزال ينتظرها:

- شكراً، نعم. اعذراني، انا ذاهبة لشرب فنجان قهوة.

عادت لوسي للحظة تصب انتباهها على الكتاب ثم رمقتها ثانية وقالت بتردد:

- ما رأيك في ما لو ذهبنا للتسوق معاً بعد الظهر؟ فالطفلة في حاجة ماسة الى ثياب تقيها شتاء انكلترا.

اجابت جولي تستبعد الفكرة:

- معظم ثيابها لا تزال في الصناديق التي كنا شحناها بحراً...

- اعرف هذا. الصناديق التي تذكرين وصلت.

بدت جولي مرتبكة:

- اين هي اذن؟

اجابت لوسي:

- انها في المنزل الجديد، بالطبع. لا لزوم لاحضارها. اليس كذلك؟ اذ انتما لن تبقيا هنا طويلاً.

احست جولي بصبرها ينفد:

- لكني لا استطيع ان اتدبر امري بما احضرته معي الى هنا اكثر من أيام معدودة.

رفعت لوسي كتفيها بلامبالاة:

- يمكنك في اي حال شراء ثياب اخرى جديدة. لا اعتقد ان الثياب التي كنت ترتدينها في مالايا ستكون ملائمة هنا. ثم، هناك اختلاف الطقس بين البلدين. كما اني آمل في ان تواكبي، من الآن فصاعداً، الموضة، خصوصاً انك الآن ارملة مايكل.

لحقت بهالبيرد الى خارج الغرفة من باب كان اشار اليه، لتجد نفسها في غرفة طعام فسيحة، مضاءة. الطاولة فيها كبيرة، ذات زخرفة ساحرة الالوان. على الطاولة طبق واحد، فنجان قهوة، رقائق خبز طازج ومربى، فضلاً عن مقلاة صغيرة وضعت على سخانة. فجأة، احست جولي بميل الى البكاء، للفتة هالبيرد الطيبة حيالها.

هتفت وهي تلتفت نحوه:

- لم يكن كل هذا ضرورياً، كما تعلم.

ابتسم الرجل وهو يجيب:

- لم تتناولي طعام العشاء الليلة البارحة انا متأكد انك جائعة. والمرء، متى امتلأت معدته، رأى كل شيء في حال افضل.

حدجته جولي بنظرة ثاقبة، الا ان العذوبة والرقة لم تغادرا قسمات وجهه. وعلى رغم هذا، شعرت ان هالبيرد يشفق عليها. لكنها احست بسعادة تغمرها، اذ اطمأنت الى وجود شخص واحد على الأقل لا يمانع في وجودها في تلك الشقة.

وعلى رغم حالها النفسية البائسة وتوتر اعصابها، شعرت بالجوع، فتناولت افطاراً جيداً. وما ان انتهت حتى شعرت بنفسها اكثر استعداداً لمواجهة عالمها عموماً، وآل عبرتون خصوصاً.

وبينا هي تتبادل اطراف حديث مع هالبيرد، دخل روبرت غرفة الطعام. كان يرتدي بنطالاً من المخمل اخضر غامقاً، وقميصاً باللون ذاته، وارخى على كتفيه معطفاً قصيراً مناسباً. بدا ضخماً، ذا اطلالة تتميز بالقوة والتأثير. حاولت جولي جاهدة الا تنظر اليه.

- حسناً؟ (بادرها بصوت اجش، قاطعاً عليها حديثها) هل انت جاهزة؟

رفعت جولي، نظرها تستوضحه:

- جاهزة؟ جاهزة لأي غرض؟

حدج روبرت هالبيرد بنظرة ذات مغزى، فانسحب الخادم بتهذيب، عائداً الى غرفة الجلوس ليكمل ما كان بدأه.

عاد يسألها، وهو على مسافة قصيرة منها:

- ألم تنبئك ابما بالترتيبات المتفق عليها؟

اطرقت جولي قليلاً قبل ان تنهض من كرسيها وتسوي كنزتها فوق وركيها، ثم اجابت:

- لقد ذكرت شيئاً بهذا الخصوص... ذهابها معك لمشاهدة المنزل الجديد.

- بالضبط. طبيعي انك ترغبين انت ايضاً في مشاهدة منزلك الجديد.

اجابت والسخرية ترتسم على وجهها:

- اوه، شكراً لك التفاتتك الطيبة هذه.

- بحق السماء، جولي، لا يمكننا ان نستمر على هذا المنوال، او ليس من

المنطق ان نتصرف باسلوب اكثر حضارة، وايما بيننا؟ بدأت اشعر بالقرف من استمرار هذا الجدل المتواصل.

ـ وانا كذلك اشعر ما تشعر به.

ـ اذن؟

ـ الامر سهل بالنسبة اليك، اليس كذلك؟ فانت تسير الاشياء بحسب ما تقتضيه مصلحتك. ام تراني مخطئة هنا؟

ـ بالله، كفي عن هذا الاسلوب، جولي. ماذا تريدينني ان اقول؟ اني افعل ما استطيع لاكون سمحاً.

ـ سمحاً! (واعترى جولي غضب عظيم) وما الذي يدفعك الى ان تكون سمحاً؟

ـ انت! (وبعد اطراقة اردف قائلاً) او تظنين اني كنت اقبل بهذا الوضع لو كان لي خيار في ذلك؟

ـ انها مشيئة والدتك؟

ـ لكن، ليس هذا ما كنت اسعى اليه! (وبدا صوته متهدجاً) صدقيني، جولي. ابتهلت الى الله كي لا اراك ثانية!

احست جولي بغصة حارقة تصعد من حلقها واشتعل خداها:

ـ اني... اني متأكدة انك صليت.

ـ اوه، جولي! (وبدا في نبرات صوته الاجش بعض من الم) هذا الجدل لن يوصلنا الى نتيجة، ما مضى قد مضى، وعلينا كلانا ان نتقبله بحسناته وسيئاته. لقد قرر مايكل ان تكوني وايما في عهدتي، فلنحاول الا ننسى هذا على الاقل.

ـ وكيف لي ان انسى؟

اقترب روبرت منها يؤاسيها واضعاً يده على كتفها كما لو انه اراد ان يؤكد لها انه يحس بالألم الذي يأكلها. فانتفضت مبتعدة، كما لو ان برودة يده احرقت جسمها. ظهر الغضب جلياً في قسماته لتصرفها غير المتوقع. فاستدار مبتعداً وخرج عائداً الى الصالون.

فجأة، فتح باب غرفة الجلوس. وظهرت ايما عند عتبته، وارتسمت على وجهها علامات تساؤل اذ لاحظت تكدر والدتها:

ـ ما الامر، امي؟ هل انت تبكين ابي ثانية؟

ـ اني لا ابكي، حبيبتي... لقد... دخل عيني قذى. هذا كل ما في الامر.

عقدت ايما حاجبيها لحظة. ثم بدا انها قنعت بتفسير والدتها:

ـ نحن في انتظارك، الا تودين الذهاب؟

ترددت جولي. كانت تود الذهاب. لكن قضاء فترة ما قبل الظهر في صحبة روبرت قد تكون بمثابة كارثة لحالها النفسية والذهنية. ثم استدركت، ان قضاء هذه الفترة في رفقة لوسي بمبرتون سيكون اكثر ألماً ومعاناة.

اجابت وهي تحاول ان تضفي على صوتها اهتماماً بموضوع الذهاب، وجهدت في ان تظهر مظهر الممسك بزمام نفسه:

ـ طبعاً، اريد الذهاب. لو انك ايقظتني باكراً لما اضطررت الى انتظاري كل هذه المدة.

بدا روبرت مرتاحاً لكلامها:

ـ حسناً. غير انه عليك ارتداء معطفك. فعلى رغم ان الشمس مشرقة، الا ان البرد خارجاً قارس، صدقيني.

ـ اصدقك.

اومأت براسها موافقة. وبخطوات حثيثة تركت الغرفة.

ما ان رآها روبرت تدخل الغرفة ثانية، حتى اطفأ عقب سيكاره وتوجه نحو الباب. لحقت به ايما بخطوات تحركها الاثارة والانفعال. اما لوسي فبدت غير راضية اطلاقاً.

وسألت ابنها:

ـ متى انتم عائدون؟ انها الحادية عشرة تقريباً، الآن! (وحدجت جولي بنظرة قاسية، ثم استطردت تقول) ظننت انك راغبة في الذهاب الى السوق، على ما ذكرت.

جمدت جولي في مكانها لدى سماعها كلام حماتها. فهي لم تقترح فكرة النزول الى السوق، بل تلك كانت فكرة لوسي. واجابتها وعيناها على روبرت تتبين رد فعله:

ـ يمكننا الذهاب في يوم آخر.

ـ حسناً.

واحنت لوسي رأسها استسلاماً.

فتح روبرت باب الغرفة وقد عيل صبره.

- هل انت قادمة ام لا؟

عضت جولي على شفتها وبحركة خفيفة من كتفيها سارت في اتجاهه وهي تجيب بصوت جلي:

- بل انا قادمة.

بعد ان افسحت المجال لايما لتجلس في المقعد الخلفي، اخذت جولي مكانها في المقعد الامامي وجلس روبرت في مقعده خلف المقود، اغلق باب السيارة وادار محركها.

لم تكن جولي تعير انتباهاً الى ما حولها وهم منطلقون في السيارة، حتى تناهى اليها صوت ايما تسألها عن اسماء الامكنة التي كانوا يمرون بها. ادركت عندئذ ان روبرت يجول بالسيارة في وسط المدينة ليتمكنا من مشاهدة معالمها. وبينا هي تنظر عبر زجاج النافذة، تتعرف على محلات شارع اوكسفورد اذا بايما تسألها:

- اليس الامر مثيراً، امي؟ عمي روبرت سيعبر بنا السوق الآن، صُعُداً في اتجاه قصر باكينغهام!

ارتسمت ابتسامة حنونة على وجه جولي وعلقت قائلة:

- لا بأس، ما دمت لا تتوقعين مقابلة الملكة، اذ هي ليست على معرفة بقدومك.

غرقت قسمات وجه ايما في ضحكة رائعة، فيما احنت جولي رأسها.

بعد ان عبرت السيارة امام القصر، وعبّرت ايما عن فرحتها الكبيرة لرؤية الحرس خارجاً، رغب روبرت في افساح المجال للطفلة لتشاهد مبنى البرلمان فانعطفت السيارة في اتجاه بيردكايج وولك ثم قطعت جسر نهر وستمنستر. بعد ان تخطت السيارة المبنى المذكور، انطلقت مسرعة، فنظرت جولي الى روبرت بتساؤل:

- هل لي ان اسألك الى اين نحن، الآن، ذاهبون؟

خفف بعد حين من سرعة انطلاق السيارة، وكانوا قد وصلوا الى تقاطع طرق. نظر اليها وقال:

- نحن الآن على طريق واتفورد ووجهتنا ثورب هيلم.

قالت ايما وقد عقدت حاجبيها:

- لم اسمع بهذا الاسم قط.

- كيف لك ان تسمعي بها؟ ليست، في الواقع، مكاناً شهيراً. انها قرية، مجرد قرية.

- وفيها... منزلنا الذي نقصد؟

- نعم.

تدخلت جولي تستوضحه:

- ستسكن هنا، اذن؟ ما الذي دفعك الى اختيار هذا المكان؟

تردد روبرت لحظة، واصابعه تشد بثبات على المقود. واجاب:

- في الواقع نأمل، باميلا وانا، ان نعيش، بعد زواجنا في فارنبورو اذ ان والديها يسكنان في اوبنغتون وبالتالي، لا تريد ان نسكن بعيداً عنهما. وثورب هيلم على بعد عشرة اميال من فارنبورو.

لم يرق جولي ما قاله، ذلك انه متى تزوج وسكن حيث اشار، سيكون على بعد عشرة اميال منها فقط. وهذا امر لم تستسغه. واحست بشوق قوي الى الطمأنينة وراحة النفس اللتين عرفتهما في منزلها في راتون.

ادركت، فجأة، ان عليها ان تقول شيئاً ما. طوت قفازيها ووضعتهما في حضنها، وسألته:

- كنت اعتقد ان الشقة تلائم وضعك اكثر من منزل في هذه الديار. فهي قريبة من مكتبك. ام تراك لم تعد تدير اعمالك شخصياً هذه الأيام؟

كان سيل السيارات خف ثانية، فتخطى روبرت بضع شاحنات كانت تسير امامه ببطء، قبل ان يجيب:

- طبيعي اني لا ازال في عملي في الشركة، اذ العيش بقية حياتي مترفاً، متعطلاً، فكرة لا تروق لي. الا اني، حالما اتزوج، سأقلص من نشاطاتي خارج البلاد، وهذا ايضاً امر طبيعي.

قالت جولي ملاحظة بسخرية:

- حقاً، لقد تغيرت فعلاً!

لم يعجبه قولها هذا فحدجها بنظرة قاسية، ولفتها قائلاً:

- اعتقدت اننا اتفقنا على الا نخوض في جدل من هذا النوع في حضور ايما؟

اوضحت جولي معترضة:

- لكني لم اقصد شيئاً.

ثم ادركت ان ردها هذا هو الجدل بذاته فاردفت قائلة:

- حسناً، في اي حال، كون كلامي لم يعجبك، لا يعني ان ملاحظتي التي ابديتها قصدت بها نقاشاً!

بدا روبرت غير مقتنع بما قالته، غير انه لم يعلق على كلامها، فشعرت جولي باللوم لتسببها في شرخ آخر بينهما. وتساءلت لماذا لا يكون في مقدورها ان تتقبل الوضع على ما هو، فلا تعذب نفسها بتصورات لما قد يحدث مستقبلاً؟

نظرت جولي الى ايما. اقتربت الطفلة، وبحركة عفوية عانقت والدتها. قاومت جولي احساساً بالبكاء كاد يفضح اشفاقها على ذاتها. لقد اختارت طريقها في الحياة، واصرت يومها على تفادي الذل برفضها مساعدة روبرت لها حين كانت في أمسّ الحاجة اليها. فكيف يمكنها، الآن، ان تلوم روبرت على عمل لم يكن على علم به؟ لكن، والحقيقة تقال، كان هو ايضاً ملوماً...

انعطفت السيارة عن الطريق الرئيسية واتجهت في اخرى فرعية لولبية الشكل توصل الى قرية ثورب هيلم، في الريف. بدا المكان جميلاً، حتى ان جولي لاحظت ذلك على رغم كآبتها. اشارت ايما الى بحيرة صغيرة وسط الاخضرار حيث سرب من البط يسبح باطمئنان.

اوقف روبرت السيارة في محاذاة السيارات الاخرى. ثم التفت نحو جولي، وقال:

- حسناً؟ وبدا كأنه ينتظر جواباً ليعرف رأيها.

كانت لا تزال تتأمل المنزل. بدت عاجزة عن جمع شتات افكارها. احكمت معطفها غير شاعرة بروبرت يخرج من السيارة هو الآخر ليساعد الطفلة على الترجل من المقعد الخلفي. الى ان اخذت تعدو هذه نحوها هاتفة:

- هل هذا هو المنزل الذي سنسكن فيه، امي؟ الا ترين انه رائع؟

ثم هرولت تتقدمها، من دون ان تنتظر جواباً. احست جولي بروبرت الى جانبها. رفعت نظرها نحوه وبدرت منها حركة عفوية وهي تقول:

- انه جميل. كيف حظيت به؟

دسّ روبرت يديه في جيبي معطفه، واجاب:

- كان معروضاً للبيع في سوق العقارات منذ ثلاثة اشهر، تاريخ وفاة مايكل تقريباً. اشتريته... لأنه اعجبني.

- لكني في ذلك الوقت لم اكن قد دعيت الى العودة بعد؟

خطا روبرت خطوتين الى الامام ثم عاد يلتفت اليها ليسألها:

- وهل هذا مهم؟

واكمل سيره يلحق بايما في اتجاه المنزل. دفع بابه ودخلا.

تبعتهما جولي بخطى متمهلة. ارادت ان تشبع نظرها بالمنزل وتستوعب فكرة كون هذا المكان هو حيث ستعيش، ربما بقية حياتها! لكن، لا. فحالما تصبح ايما في سن تؤهلها لترك المنزل، فسوف تستأجر شقة بمجرد ان يتحسن وضعها المالي. وبدا مستغرباً كيف ان فكرة الزواج ثانية لم تراودها... اقله حتى الآن...

كان روبرت وايما دخلا الى الرواق الكبير للمنزل، بدأ هو يتحدث الى رجلين في امور مختلفة تتناول موضوع تأهيل المنزل. كان الجو مفعماً برائحة الطلاء الجديد. وخلافاً لما هو متوقع، كان الدفء يغمر ارجاء المنزل، وادركت جولي ان التدفئة المركزية للمنزل كانت تعمل.

انتظرت حتى ينتهي روبرت من حديثه مع الرجلين. وكان يستوضحهما في شأن التصليحات المختلفة. ما ان ابتعد الرجلان عائدين الى عملهما حتى استدار ناحيتها وقال:

- قاربت التصليحات ان تنتهي. الاثاث لم يصل بعد الا انه في امكاننا القاء نظرة على المكان اذا رغبت في ذلك.

اومأت جولي ايجاباً وهي تقول:

- اني اتوق الى ذلك (ثم ترددت هنيهة) اوه... اوه... روبرت؟

- ما بالك؟

- اني... اشكرك.

- تشكرينني؟

- ظننت ان مسألة الجدل حسمت بيننا؟

- حسناً، حسناً، اني آسف. يبدو اننا لسنا اهلاً لنتحاور في شكل

طبيعي، ام ترانا نستطيع اذا ما اردنا ذلك؟

- يبدو هذا مستحيلاً.

ابتعدت جولي تسير في اتجاه باب يؤدي الى غرفة تقع على يمين الباب الرئيسي. تبعها روبرت، تاركاً ايما تكتشف المكان لوحدها، وقال وقد بدت نبرة صوته جدية:

- هذه غرفة الاستراحة خاصتك. قد لا يعجبك لون الطلاء. الا ان الوقت دهمنا فلم نستطع انتظارك لتختاري اللون الذي تريدين. يمكنك ان تغيري اللون اذا شئت في ما بعد.

- هل اخترت الاثاث كذلك؟

تردد روبرت قليلاً، ثم اجاب:

- كلا. في الواقع، باميلا هي التي اختارته.

- كان ذلك لفتة كريمة من قبلها. اتعرف ماذا اختارت؟

- الاشياء الضرورية فقط. اما الديكور، فيمكنك ان تختاريه شخصياً في ما بعد. اللوحات، والى ما هنالك.

- لا بأس.

ماذا تعني بالاشياء الضرورية؟

- آه، سجاد، مفروشات، جهاز تلفزيون، الخ... اعتقد ان سجادة هذه الغرفة لونها ازرق رمادي، يتناسب ولون ورق الجدران.

استدارت جولي، وخرجت من الغرفة، تعبر الرواق الى غرفة اخرى مقابلة، وسألت تستوضحه:

- هذه غرفة استقبال اخرى على ما اعتقد؟

- ذلك يعود اليك تحديده.

وتقدم ليفتح باباً جراراً في وسط الغرفة يفضي الى صالة تبدو مثالية لاقامة الحفلات والمآدب.

انتقلت جولي اليها. ولاحظت اذ نظرت الى الخارج، الحديقة الكبيرة التي خلف المنزل. اشجارها مثمرة وارضها يكسوها العشب مما يشير الى وجود بستاني يرعاها.

سمعت وقع اقدام في الطبقة العلوية، فاستنتجت ان ايما تمضي وقتاً ممتعاً في تفقد ارجاء المنزل. فتحت باباً آخر يفضي الى الرواق والقت نظرة

على الابواب الاخرى.

بادر روبرت يوضح وقد لاحظ نظراتها المتسائلة:

- هناك غرفة مخصصة لتمضية فترة الصباح. غرفة افطار اذا صح التعبير. او سمها ما شئت، مطبخ كبير وملحقات مختلفة. والآن، هل تريدين الصعود الى الطبقة العلوية؟

بانت بوادر ضحكة مكتومة على شفتي جولي، اذ ان التوتر بينهما كان على اشده. وخيل اليها انها اذا لم تضحك فقد تنفجر بالبكاء.

عقد روبرت حاجبيه، وسألها:

- هل هناك امر يدعو الى الضحك؟

عادت جولي الى رصانتها، وهزت رأسها نفياً:

- كلا بالطبع.

مشى روبرت الى أول السلم. ثم قال بصوت بارد، وقد ادرك ما دفعها الى الابتسام:

- يمكنك الصعود بمفردك، اذا كنت تفضلين ذلك.

رفعت نظرها اليه وخانها الكلام اولاً. ثم جهرت بصوت جلي:

- انا آسفة، روبرت، احتاج الى وقت كاف. انا... لست ادري، الامر كله... مختلف.

حدق فيها طويلاً قبل ان يجيب بصوت اجش:

- او تظنين اني لست مدركاً لهذا الامر؟

ارتعشت جولي في غمرة الاحاسيس التي لم تستطع السيطرة عليها كلياً. ومن دون ان تنبس بكلمة، استدارت وصعدت الدرجات بحثاً عن ايما... والامان.

* * *

في احدى الغرف العلوية للمنزل ، وجدوا الصندوقين الكبيرين اللذين كانت جولي شحنتهما بحرا من مالايا . فبادرت ايما ترجو والدتها فتحهما .

اعترضت جولي ، قائلة :

-لكن ، ليس هناك خزائن جاهزة لوضع محتوياتها (ثم استدركت ،

اذ تذكرت حاجتها الى بعض من ملابسها) لكن قد يكون من الأفضل أن نأخذ معنا الى الشقة بعضا من هذه الملابس (ورفعت نظرها نحو روبرت تستوضحه) الى متى . . . سنبقى في الشقة قبل انتقالنا الى هنا ؟

- لقد اعلمني المتعهد بأن المنزل سيكون جاهزا خلال اسبوع تقريبا . لذا تستطيعان الانتقال اليه بعد نحو عشرة ايام .

- عشرة ايام ! (رددت جولي ، وقد فاجأها طول المدة . فتحت حقيبة يدها تبحث فيها عن مجموعة مفاتيح لصندوقي السفر ، واستطردت) اذن علينا أن نستعين ببعض من ملابسنا ، فلا يعقل أن نبقى ، ايما وانا ، في ثيابنا هذه نفسها طوال هذه المدة .

جلس روبرت القرفصاء الى جانب الصندوقين يتفحص الاقفال ، وقال يلفت جولي الى ان هذا الأمر ليس ضروريا :

- يمكنكما شراء بعض الملابس الجديدة .

- اتظن ان هذا ممكن ؟ بماذا ؟

- ان لوالدتي حسابا مفتوحا في كل محلات المدينة . يمكنك شراء ما ترينه ضروريا وتضيفين ثمنه الى حسابها .

- كلا ، شكرا . (وتابعت تقلب اغراضها في قاع حقيبتها) اللعنة ، اين هي المفاتيح ؟

- لِمَ هذه الفظاظة ؟ يجب أن تدركي ، كونك ارملة مايكل ، أن في استطاعتك طلب أي شيء تحتاجين اليه .

رفعت عينين يملؤهما الغضب :

- ماذا ؟ اتريدني ان افعل هذا لأفسح لوالدتك بأن تعيّرني بالاعتماد عليك اعتمادا مطلقا ؟

تجهم وجه روبرت وغمغم متوعّدا :

- يوما ما ، جولي . . .

تنهد وعاد يجلس القرفصاء الى جانب الصندوقين .

أخرجت جولي المفاتيح ، فتطاول روبرت يتناولها من دون أن يتفوه بكلمة . بعد أن تفحصها جيدا وجد مفتاح الصندوق الأقرب اليه . عالج قفله في حركة عصبية ، ثم ارخى الرباطين الجلديين اللذين يحكمان الصندوق . وفتحه .

قفزت ايما فرحا وكادت تلج الصندوق لكثرة انفعالها ، لو لم يمسك بها روبرت . استجمعت جولي نفسها وهزت رأسها اذ استعصى عليها الكلام ثم بادرت تقول والارتباك يعاودها :

- ان . . . ملابسنا في الصندوق الآخر .

اقفل روبرت الصندوق ، وبدت الخيبة في وجه ايما . شد الرباطين وأحكم القفل . ثم . . . وضع المفاتيح في جيبه . حدقت فيه جولي مستغربة تصرفه . اما هو فبادرها :

- هيا بنا . هذا يكفي ، الآن .

اشارت جولي معترضة :

- لكن ، ماذا عن ثيابنا ؟ الا انه مشى الى الباب وهو يجيبها :

- في ما بعد .

رفعت جولي كتفيها لا تفهم تصرفه ، وركلت الصندوق الذي امامها برأس حذائها . وقالت مصرة على فتح الصندوق :

- يجب أن آخذ بعضا من هذه الثياب .

نظر اليها وقال يحسم الأمر :

- لا اعتقد انك تريدين فتح هذين الصندوقين . هيا بنا الآن لقد تأخرنا ، وانا جائع .

ترددت جولي لحظة قبل أن تذعن لارادته . لم تكن تريد حقا فتح الصندوق . ليس الآن . ولم تستطع الا ان تعجب بقوة حدسه ونفاذ بصيرته .

قال روبرت فيما هم يصعدون الى السيارة :

- سنتناول غداءنا في مطعم « الثور الأسود » في القرية . قيل لي انهم يحسنون المشويات . هل تحبون المشويات ؟

اظهرت جولي لا مبالاة للسؤال ، وهي تعتدل في مقعدها :

- لا مانع لدي اذا كان هذا ما ترغب فيه .

تجهم وجه روبرت ، ولم يعلق بشيء . ادار محرك السيارة وانطلق بها .

لم تكن صالة الطعام ممتلئة . وبدا رئيس الخدم منزعجا اذ رآهم يدخلون ، فبادر بلهجة جازمة :

- اخشى اننا لن نستطيع خدمتكم ، فالساعة تعدت الثانية الا ربعا ،

وقد انتهى موعد الخدمة في الصالة .

تنهدت جولي ، فيما ظل روبرت هادئا ، وقال :

ـ لقد سبق وحجزت طاولة ، اسمي بمبرتون .

فجأة ، رفع روبرت نظره نحو جولي وسألها وفي عينيه غموض لم تستطع فهمه :

ـ حسنا ، هل اعجبتك وجبة الغداء ؟

انهت جولي شرب كوب الحليب الذي في يدها . اسندت نفسها الى ظهر المقعد ، ثم اجابت بصوت جلي :

ـ كان غداء رائعا !

ـ اترغبين في فنجان قهوة ؟

ـ الا تعتقد ان علينا العودة الآن ؟ اقصد . . . انهم في انتظارنا ليقفلوا صالة الطعام .

ـ ساعوض خسارتهم .

ـ تعتقد ان كل شيء يشترى بالمال . اليس كذلك ؟

ـ لقد اشتريتك . ألم افعل ؟

عادت تنظر اليه :

ـ ماذا تعني بهذا ؟

ـ حسنا ، لا اعتقد انك كنت تزوجت مايكل لو انه كان معدما ، اليس كذلك ؟

ظهر الرعب جليا في عيني جولي . ورمقت ايما بنظرة خاطفة ، الا ان هذه بدت غير آبهة لحديثهما بل مركزة كل اهتمامها على محتوى كوبها من العصير . عادت تستوضحه ثانية :

ـ لا افهم ماذا تعني بكلامك ؟

فجأة ، انتصب روبرت واقفا :

ـ اوه جولي . كفي عن التظاهر والادعاء الكاذب . فانت لم تهتمي قط بمايكل . وقد واتتك فرص عدة ، قبل سفري الى فنزويلا ، لتتزوجيه بدلا مني ، الا انك لم تفعلي . كلا ! انما انا الذي كنت تنصبين شباكك حوله . لذا لا تحاولي ان تنكري هذه الحقيقة !

بدا وجهه ممتقعا ، وابتعد بخطى حثيثة يبحث عن رئيس الخدم ، وهو

يتناول محفظته من جيبه .

في اللحظة التي عاد روبرت يلحق به رئيس خدم انيق ، راضٍ ، كانت جولي وايما جاهزتين في انتظاره . ارتدى معطفه الجلدي ، وشكر الرجل بايماءة من رأسه ثم توجه الى باب المطعم . كان الهواء البارد في الخارج منعشا ، وتنفست جولي عميقا قبل ان تصعد الى داخل السيارة .

لحظة اوقف روبرت سيارته في باحة المبنى الخارجية حيث يقطن ، بدأ النعاس يثقل عيني ايما . كما لاحظت جولي ان الظلام بدأ يخيم والساعة لم تتجاوز الرابعة بعد .

الا ان النعاس طار من عيني الطفلة وهم داخل المصعد في طريقهم الى الشقة . وما ان وصلوا اليها حتى كانت استعادت حيويتها كاملة الى درجة سمحت لها بأن تمتع لوسي بمبرتون بأخبار ما جرى معهم وما شاهدوه خلال نهارهم ، ولا سيما قصة الصندوقين وموضوع الغداء المتأخر في مطعم « الثور الأسود » .

ترك روبرت جولي وابنتها مع والدته ودخل غرفته . وبدت لوسي كلها اصغاء الى ما كانت ايما تسرده عليها . اما جولي فنزعت عنها معطفها وهي تتجه نحو الباب قاصدة غرفتها ، وقد احست برغبة في قضاء بعض الوقت وحيدة . اذ ، بعد احداث الساعات القليلة الأخيرة ، شعرت بحاجة الى بعض التأمل والتفكير .

غير ان لوسي ، وقد لاحظت كنّتها تهم بالخروج ، بادرتها قائلة :

ـ لا تذهبي الآن ، جولي . فهاليبرد يستطيع أن يعيد معطفك الى الخزانة . تعالي واجلسي ، اريد ان اعرف رأيك في المنزل .

اسقط بيد جولي ، فرمت معطفها بامتعاض على مقعد ، ودنت لتجلس على مقعد آخر قريب من الأريكة حيث جلست حماتها وطفلتها . ثنت ساقا على ذراع المقعد الجلدي الوثير ، وقالت معلقة :

ـ انه منزل جذاب ، هل شاهدته ؟

ـ بالطبع ، لقد اصطحبتني باميلا الى هناك يوم كنت في زيارة لأهلها .

ـ حسنا .

ـ هل تعلمين ان باميلا هي اول من وقع نظره على المنزل ؟ في الواقع كان ملكا لعائلة تربطها صلة صداقة بأهلها . الا ان العائلة اضطرت الى

السفر . وهكذا . . . عرض المنزل للبيع .

تدخلت ايما تسأل جدتها .

- من هي باميلا ؟ هل هي عمة لي ؟

التفتت لوسي الى الطفلة وأجابتها في ابتسامة :

- قريبا، ستكون هكذا، عزيزتي. لأنها ستصبح زوجة عمك روبرت.

- آه (علقت ايما وشفتاها متكورتان) هل هي لطيفة ؟

- انها لطيفة جدا عزيزتي . ستتعرفان اليها غدا .

عادت ايما تسألها وبدت مهتمة للأمر ويدها تسند ذقنها :

- غدا ؟

ألقت لوسي نظرة عابرة على كنتها قبل أن تجيب :

- انها قادمة مع والديها لتناول العشاء عندنا مساء غد ، في مناسبة التعرف اليكما ، جولي .

بلعت جولي ريقها تسأل بدورها :

- حقا ؟

ولم ترقها فكرة لقاء المرأة التي ستصير زوجة روبرت .

- نعم . رأينا انه من الأفضل لك ، قبل أن نعرفك الى اصدقائنا ، ان تنالي قسطا من الراحة لأيام قليلة . ثم ان مساء السبت هو الوقت الأفضل لذلك الا توافقينني الرأي ؟

- اذا كنت تعتقدين ان هذا مناسب ، فهو كما تقولين .

وسألت حماتها:

- سها عني ان اسألك . هل تشعرين بتحسن هذا الصباح؟

رفعت لوسي كتفيها وقالت :

- اني احسن حالا . شكرا. (ثم عادت تلتفت الى ايما) اخبريني ، عزيزتي، هل لاحظت الأرجوحة المتدلية من شجرة الكرز في حديقة منزلكما الجديد؟ لقد قالت لي باميلا انها كانت تتأرجح فيها ايام طفولتها.

هزت ايما رأسها بعجب نفيا:

- كلا ، لم أر اي ارجوحة.

قالت لوسي مقطبة:

- هذا غريب .

الا ان ايما اوضحت لجدتها:

- لم نخرج الى الحديقة . (ثم توجهت بكلامها الى والدتها) لماذا لم نفعل هذا، امي ؟

رفعت جولي كتفيها كأنها لم تول الأمر اهمية . واجابت :

- لم يكن لدينا متسع من الوقت.

علقت لوسي بتهكم قائلة :

- عذر أقبح من ذنب . كان لديكم وقت كاف .

- حسناً ، اظن ان الأمر لم يخطر في بالنا .

ردت لوسي بحدة :

- لقد امضيتم وقتا طويلا خارجا .

دخل هالبيرد ، تلك اللحظة ، وبادر لوسي :

- هل ترغب سيدتي في فنجان شاي ؟

أطرقت هذه للحظة قبل ان تجيب :

- اوه نعم . . . نعم ، اعتقد ذلك .

اما جولي فاستبقت سؤاله لها وقالت :

- لا تزعج نفسك من اجلي . . . (ثم استدارت فجأة على عقبيها) فأنا ذاهبة لاستحم .

اجاب هالبيرد مبتسما :

- كما تشائين ، سيدتي .

عادت لوسي تسأل الخادم :

- اين السيد روبرت ؟

- لقد خرج ، سيدتي .

- خرج ! (رددت لوسي كلمته وقد فاجأها الجواب) لكن لم تمض على عودته لحظات ؟

- نعم ، سيدتي ، اؤكد لك انه خرج .

- هل ذكر لك الى اين هو ذاهب ؟

- قال لي ان اخبرك ، اذا ما سألتني ، انه ذاهب الى المكتب ، ولن يتأخر في العودة .

عادت ايما تسأل جدتها ، وهي تذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وتعبث بما

تطوله يدها :
- هل استطيع ان اشاهد التلفزيون ، جدتي ؟
بدت لوسي متضايقة ، فأجابتها في امتعاض :
لم لا ؟ (والتفتت الى هالبيرد) هلا ادرت مفتاح الجهاز هالبيرد ؟
ادار هالبيرد الجهاز . وما هي الا لحظات حتى ارتسمت الصورة على الشاشة بالألوان . بدت ايما مبتهجة جدا فهتفت :
- آه . . . اليس هذا رائعا ؟
اومأت جولي للطفلة ايجابا ، وسارت نحو الباب فبادرها هالبيرد قبل ان تخرج :
- هل ترغبين في فنجان شاي ، احضره الى غرفتك ، سيدتي ؟
ترددت لحظة ثم تمتمت :
- لا اريد ان ازعجك بالأمر .
هز هالبيرد رأسه قائلا :
- ليس هناك اي ازعاج في الأمر ، سيدتي .
بدا الضيق واضحا في تنهيدة اطلقتها لوسي وقالت معلقة في حدة :
- اذا ما كانت السيدة بمبرتون ترغب في فنجان شاي ، فما عليها ، هالبيرد ، الا ان تتناوله هنا ، معي .
- اوه ! بالطبع ، سيدتي .
تنهدت جولي هي الأخرى قبل ان تجيب :
- اني آسفة . لا استطيع ذلك الآن .
- هل انت فعلا آسفة ؟ (سألتها لوسي والشك في نبرات صوتها واضح . ثم تناولت منديلا صغيرا عالجت به طرف انفها وأردفت) في اي حال ، بما ان علينا ان نعيش معا . . . الله لبضعة ايام مقبلة ، فاني اكون ممتنة اذا ما حاولت ان تتصرفي معي باسلوب أقل عداء .
أسندت جولي جبينها الى اطار الباب البارد ، وقالت :
- حسنا ، سأحاول .
اعادت لوسي منديلها الى مكانه وهي تسألها :
- هل ستكونين حاضرة في موعد العشاء ؟
اومأت جولي مؤكدة :

- طبعا .
- حسنا .
كان جواب لوسي ايذانا منها بانتهاء الحديث مما ازعج جولي ، فأغلقت الباب وراءها وسلكت الممر الى غرفتها . وما ان ولجت بابها ، حتى احست بنفسها عاجزة عن كبت مشاعرها ، فألقت بنفسها على السرير وأطلقت العنان لدموع حارة .
لم تر جولي روبرت ثانية الا بعد ظهر اليوم التالي . اذ لم يعد لتناول العشاء تلك الليلة . وهذا ما حدا بوالدته على ان تشرح لجولي باغتباط ، وهما على العشاء ، ان سبب تخلف روبرت ، ارتباطه وباميلا بحضور سهرة راقصة يقيمها احد اصدقائهما . ويبدو انه عاد من مكتبه فيما كانت جولي تستحم ، فاستحم هو الآخر وأبدل بذلته ثم خرج ثانية . اما ايما ، فذهبت الى فراشها نحو السابعة كما عادتها ان تفعل . لذا لم يبق الى العشاء سوى جولي وحماتها .
كان الصمت مخيما ، والجو لا يبعث الشهية ، ولم تتمتع جولي بطعامها . بعد العشاء عادتاالى غرفة الجلوس لتشاهدا التلفزيون .
بادرت لوسي وهي تستريح في مقعد وثير :
- مما لا شك فيه انك ستجدين صعوبة في التكيف مع نمط حياتنا هنا . ثم انك لم تتعودي قط مستوى العيش الاجتماعي الذي نحياه . اليس كذلك جولي ؟
تظاهرت جولي بأنها مشدودة الانتباه الى الفيلم الذي كان يعرض تلك اللحظة على الشاشة الصغيرة ومن دون أن تلتفت الى محدثتها سألتها :
- ماذا قلت ؟
ردت لوسي بلهجة تشوبها الحدة :
- قلت انه يصعب عليك التكيف مع نمط حياتنا . فلا اظن ان الحياة في بقعة نائية في مالايا يمكن أن تقارن بمستوى الحياة الاجتماعية ، هنا ، في لندن ؟
- كلا . لا اظن المقارنة ممكنة .
أردفت الحماة تسترسل في حديثها :
- لم يتسنّ لك ايضا العيش معنا لتتعودي طريقة عيشنا قبل أن يأخذك

مايكل معه بعيدا . لم اكن لأتصور ان في استطاعة مايكل ان يجد الاكتفاء الذاتي في مكان كالذي عشتما فيه ، اذ اعتقدت انه كان يعشق العيش هنا ، في لندن .

علقت جولي في اقتضاب :

- لقد التحق بالبحرية قبل ان يتعرف الي .

- نعم . اعرف هذا ، فهو كثيرا ما احب الأبحار ، مذ كان صغيرا . لكن ان يقبل وظيفة في بلد بعيد . . . وظيفة دائمة .

- تلك كانت ارادته .

- اعرف هذا ، الا ان تصرفه كان بعيدا عن قناعاته (تطاولت لوسي لتتناول فنجان الشاي الذي على طاولة قريبة منها ، وأضافت) الا اني اعتقد ان قراره ذلك جعل الأمور اقل صعوبة بالنسبة اليك .

حاولت جولي جهدها ان تبقى هادئة ، واستوضحتها :

- اقل صعوبة ؟

- طبعا . اقصد . . . انك لم تكوني على صلة بنمط حياتنا . اذ انك لم تعودي قبلا الحياة الاجتماعية بمعناها الصحيح . . . كأن تقيمي الحفلات والمآدب ! انا متأكدة مثلا انك لم تحضري لائحة طعام قط في حياتك ؟

- كلا . ففي المأوى حيث ترعرعت ، لم يعلمونا اشياء كثيرة كهذه .

لم يرق لوسي جواب جولي لها ، فقالت :

- لنكف عن الجدل ، جولي . كل ما احاوله هو التفاهم واياك .

قالت جولي :

- اني لا اجادلك (وتنفست عميقا ، ثم اضافت) قد تفاجئين اذا ما ادركت اني كنت ومايكل سعيدين !

شخصت عينا لوسي عليها وتساءلت مشككة :

- هل كنتما فعلا سعيدين ؟

- نعم . ثم انه لم يكن يحب مجتمع لندن ، ابحر كثيرا ؟ نعم . لا اخالفك الرأي في ذلك . كان لنا مركبنا الخاص ، مركب صغير ، نقضي على متنه معظم اجازاتنا الاسبوعية ، نسبح ، نستلقي تحت الشمس ، وندعو احيانا اصدقاءنا الى امسيات حلوة . تلك كانت . . . حياة رائعة .

ارتسم الغضب في ارتعاشة شفتي لوسي :

- لو لم تقنعي مايكل بقبول تلك الوظيفة هناك لكان لا يزال حيا يرزق الآن .

امتقع وجه جولي :

- هذا ليس صحيحا !

سألتها لوسي بلهجة عداء :

- وكيف لك ان تعرفي ؟

ترددت جولي لحظة ، تضغط كلتا شفتيها . فهي لم تشأ ان تبحث مع لوسي في مواضيع وتفاصيل حميمة ، كموضوع صحة مايكل مثلا ، على رغم ان هذه والدته . ثم اجابت :

- لأن السبب الذي حدا به على قبول وظيفته خارج البلاد ، كان نصيحة طبيبه الذي اشار عليه ان يقلل من نشاطاته .

- ماذا ؟ اني لا اصدق كلمة واحدة مما تقولين !

- انها الحقيقة . لم اعرف بالأمر الا . . . الا بعد ان اصيب بنوبة قلبية اخرى ، فاضطر الطبيب الى ان يشرح لي الحقيقة (ارتدت جولي في مقعدها الى الوراء وأردفت) الا ان مايكل لم يعر حاله الصحية اهتماما كافيا .

كانت لوسي تحدق فيها ، شفتاها ترتعشان . وأحست جولي ، للحظة ، بعطف عميق حيال هذه المرأة :

- انك تختلقين ما تدّعينه حقيقة . . . اذ لو ان ما تقولينه صحيح لكان اطلعني عليه ، فانا والدته !

اجابت جولي غير مكترثة لاتهامها :

- لم تعرفيه جيدا كما عرفته .

- بل عرفته لثمانية وعشرين عاما . اي بمقدار اربع أو خمس مرات اكثر مما عرفته .

اجابت جولي بهدوء :

- صحيح . لكن ليس كما عرفته انا صدقيني . انها الحقيقة . ولست احاول بهذا ايذاء شعورك .

انتصبت لوسي من مقعدها :

- هل اخبرت روبرت ما تخبرينني به ؟

- كلا . لم اخبر احدا بهذا .
- اذن ، اتمنى عليك الا تفعلي (اخذت لوسي تذرع الغرفة بخطواتها التائهة) افضل ان يعتقد الجميع ان وفاة مايكل كانت نتيجة حادثة مأسوية غير منتظرة ، قد تحصل لأي كان في اي زمان ومكان .
- لكن الذي حدث هو ما اخبرتك به .
هتفت جولي وفي داخلها حرقة ، اذ ادركت ان لوسي لن تقبل في اي حال ان يعرف اصدقاؤ ها السبب الحقيقي لوفاة مايكل وانه اخفى عن اهله حقيقة اعتلاله ، وبخاصة عن امه ، طوال ستة اعوام .
- هل تتجرأين ، صراحة ، على ان تجهري بهذه الحقيقة ؟
- طبعا ، استطيع .
لم تعد تفهم شيئا من احداث الفيلم الذي كان يعرض على الشاشة الصغيرة . ثم بدرت اشارة من لوسي رغبة منها في انهاء هذا الحوار ، وقالت :
- على كل ، موضوع مايكل شيء من الماضي . وما من شيء يستطيع ان يفعله اي منا لاعادته الينا حيا . شكرا لله ، ان روبرت بقربي . . . وايما ايضا ، بالطبع .
انتصبت جولي ولم تتمالك نفسها من سؤال حماتها:
- وماذا بعد ان يتزوج روبرت؟
- ماذا تقصدين؟
رفعت جولي كتفيها، قائلة:
- لا شيء.
لكن لوسي عادت تسألها وهي بادية الازدراء:
- او تظنين زواج روبرت سيغير من حبه لي؟ اوه، كلا. فهو ليس كمايكل. ولن يقوم باي عمل قد يؤذيني. هذا، فضلاً عن ان الفتاة التي سيتزوجها تتفهم حقيقة علاقتنا ومقدار حبه لي. انها فتاة لا تعرف الانانية. وهي بالتالي صديقة حميمة لي.
تنهدت جولي عميقاً. كان هناك الكثير تستطيع قوله. وان ترد بقسوة على كلام حماتها. وان توضح لها ان العلاقة بين صديقتين هي غيرها تماماً بين زوجة وحماتها. الا انها كتمت ما كان يخالج فكرها، تلك اللحظة،

وتوجهت نحو طاولة عليها ابريق الشاي تسكب لنفسها فنجاناً. ثم سألت لوسي:
- اترغبين في فنجان ثان؟
- كلا، شكراً.
وشفت قليلاً من فنجانها. ثم تفحصت الوقت في ساعة معصمها:
- انها التاسعة والنصف. هل لديك مانع ان اذهب الى سريري؟
- اطلاقاً. واضح ان لا قاسم مشتركاً في حديثنا، في اي حال.
بعد ظهر اليوم التالي، اخذت لوسي ايما في نزهة الى الحديقة العامة. كان يوماً رائعاً من ايام تشرين، حيث يتحول الصقيع على اغصان الاشجار الى ماس يشع تحت نور الشمس، والهواء نقي منعش.
سألت ايما والدتها ان ترافقهما، الا ان جولي امتنعت، اذ ادركت ان لوسي كانت ترغب في الاختلاء بالطفلة. فهي جدتها، رغم كل شيء.
وكان روبرت قد خرج صباحاً هو الآخر، حتى قبل ان تصحو جولي من نومها، وبعد ان اخطر هالبيرد انه لن يعود ظهراً الى الغداء. وهكذا، بقيت جولي وحيدة في الشقة، عدا الخادم طبعاً.
كانت تجلس في الصالون، تتمتع بلحظات قليلة من الحرية حين رن جرس الباب. نهضت من مقعدها تلقائياً. وظهر هالبيرد قبل ان تستطيع التوجه لترى من الطارق.
- سأستطلع من القادم، سيدتي.
قالها هالبيرد بدماثته المعهودة. وعادت جولي الى مقعدها.
ما هي الا لحظات، حتى سمعت صدى أصوات، وهالبيرد يرفع صوته على غير عادته. ثم تناهى اليها صوت الباب يغلق. نظرت في اتجاه باب الصالون فاذا بهالبيرد يدخل، رزم وعلب ملء يديه.
هتفت مبتسمة:
- بحق السماء! ما هذا؟
تردد هالبيرد بدءاً، ثم اوضح قائلاً:
انها مرسلة اليك، سيدة بجبرتون. اين ترغبين ان اضعها؟ في غرفتك؟
- خاصتي، انا؟ (رددت جولي غير مصدقة) لكني. . . لم أوص بشراء اي شيء؟

اجاب هالبيرد جازماً:
ـ هذا ما قاله لي الأجير.
ـ هل انت متأكد انها ليست لوالدة السيد روبرت؟
ـ كلا، سيدتي. انها للسيدة جولي بمبرتون. هكذا اوضح لي الصبي.
تركت جولي مقعدها، وقالت:
ـ من الافضل، اذن، ان تضعها هنا، وسأرى ما تحويه.
سألها هالبيرد وابتسامة تغلف وجهه:
ـ حسناً، سيدتي. اذا كان هذا ما تريدين... ام انك تفضلين ان افتحها لك؟
فوافقت جولي على عرضه وقد تخضبت وجنتاها.
وضع الخادم مجموعة العلب قربها على الكنبة. ولاحظت جولي اسم الماركة التي على العلب فجمدت. اذ هو اسم احد اشهر محلات الثياب في لندن. وللحال عرفت ما تحويه الرزم هذه.
قالت له بصوت متقطع الوتيرة:
ـ شكراً لك. استطيع ان افتحها بنفسي (لكنها لاحظت ان هالبيرد كان لا يزال يرمقها بتساؤل، فاردفت) حسناً. هذه العلب لا تخصني.
ـ لكن الصبي الذي احضرها...
ـ نعم، اعرف ما قاله. لقد ظن انها مرسلة الي. الا ان الحقيقة غير ذلك. دعها هنا، هالبيرد، سأتدبر امرها.
ـ كما تريدين، سيدتي.
تنهدت جولي عميقاً. ووقفت تحدق في مجموعة العلب بعينين نفد الصبر منهما. ترى، من الذي اوصى عليها؟ روبرت؟ ام هي باميلا المرأة التي لم تقابلها بعد؟ في اي حال، يجب ان تعاد هذه العلب اليه، كائناً من كان. فهي ليست في وارد قبول اي شيء من آل بمبرتون!
نهضت، بادية التبرم، وسارت في اتجاه العلبة المرمية على السجادة. جثت بقربها تحاول اعادة ما تحويه واحكام غطائها ثانية. كان ثوباً قماشه ناعم الملمس ينزلق على راحة يدها. تناولت القطعة، وبدافع غريزي، تفحصتها.
تفحصت الثوب، فاذا هو رداء طويل، له كمّان عريضان وياقة عالية

تنتهي بفتحة عند الصدر. امسكت به تقيسه على قامتها، وادركت انه من مقاسها تقريباً. وبمجرد الاستنتاج هذا ضايقها.
وبينما هي في حال تأملها هذه، تسر الى نفسها بتساؤلات شتى، تناهى اليها صوت الباب الرئيسي يفتح. وما هي الا لحظات قليلة حتى دخل عليها روبرت. كان يرتدي معطفاً متوسط الطول ذا قبة من الفرو.
فوجيء اذ وجدها وحيدة. جال بنظره في ارجاء الصالون متسائلاً، ومتجاهلاً في آن وجود العلب الملقاة على الكنبة. ثم سألها:
ـ اين الجميع؟
اجابته وانفاسها تتضاءل:
ـ في نزهة في الحديقة العامة.
وخلع معطفه بينما ظهر هالبيرد يتناوله منه.
قال الخادم يسأل سيده:
ـ اترغب في بعض الشاي، سيدي؟
نظر روبرت الى جولي يستطلع رغبتها هي ايضاً، فأومأت نفياً. اذ ذاك التفت الى هالبيرد:
ـ كلا، شكراً، هالبيرد. ربما في ما بعد، متى عادت السيدة بمبرتون.
ـ كما يشاء سيدي.
وانسحب هالبيرد. اما جولي فقامت تبتعد عن الكنبة الى وسط الغرفة، وهي تتوقع منه في اي لحظة توضيحاً في شأن بادرته.
لكن روبرت بدا عازماً على الا يخوض في موضوع العلب. القى بنفسه على مقعد، ثم اشعل سيكاراً بلا مبالاة مثيرة. اخيراً، لم تعد تستطيع احتمال الامر. فبادرته:
ـ حسناً. لماذا فعلت هذا؟
فاجابها مستوضحاً، وقد اختار ان يظهر جهله المتعمد للموضوع:
ـ فعلت ماذا؟ جولي؟
ـ لماذا ابتعت لي هذه الاشياء؟
ـ هل انا الذي ابتاعها؟
ـ اجبني صراحة. الست انت الذي اشتراها؟
ـ وماذا لو كنت انا الذي اشتراها؟

- اوه، كف عن تجاهلك الاجابة مباشرة عن سؤالي! (اطبقت راحتيها) كنت تبهتك... الى اني لا اريد منك شيئاً.

- أنا آسف اذا كنت خيبت ظنك. غير اني لست مسؤولاً عن شراء هذه الاشياء.

- اذا لم تكن انت الذي اشتراها، فمن يكون اذن؟ لا تقل لي هي والدتك التي ابتاعتها!

- وماذا في هذا؟

- لا يعقل ان تكون فعلَتْ امراً كهذا!

- حسناً. آسف ثانية ان اخيب ظنك. لكن والدتي هي التي اشترت هذه الملابس. (واخذ يراقب رد فعلها بعين ناقدة، ثم اضاف) اغلب الظن انها ادركت ان ما لديك من ثياب ليس ملائماً لظروف وضعك المستجد.

مررت جولي يداً مرتعشة على شعرها، وقالت ثائرة:

- كيف تجرؤ على ان تفرض علي ما ارتدي؟ (واضافت وعلامات الازدراء في قسمات وجهها) آه، بالطبع، كيف لم يخطر هذا في بالي قبل الآن؟ انها مأدبة العشاء لهذه الليلة. هذا ما دفعها الى شراء هذه الثياب. أليس الامر كذلك؟ اتراها تخشى ان احط من قدرها؟ فاظهر مظهر النسيبة المعدمة!

- هدئي من روعك، جولي! وكفي عن التصرف كطفل مدلل! ان اختيار والدتي شراء بعض الثياب لك يفترض فيك ان تقابلي لفتتها هذه بالامتنان. هذا أقل ما يمكن ان تفعليه!

هل تعلمين انك تبعثين الاشمئزاز في نفسي؟

ردت عليه وهي مهتاجة:

- ليس بمقدار الاشمئزاز الذي تبعثه انت في نفسي.

- انت مصممة على دفع الامور نحو الاسوأ. أليس هذا ما تفعلين؟

- اذا كان ما ارتديه لا يليق بكم... وباصدقائكم، فسابقى في غرفتي هذا المساء.

- بل ستفعلين ما اقوله لك.

- ومن ذا الذي سيضطرني الى الامتثال لكلامك؟ (وارتدت خطوتين، اذ لاحظت الغضب الشديد الذي اخذ يتملكه، ثم اضافت مستطردة)

يظهر ان والدتك كانت تعلم سلفاً بشعوري حيال هذا الامر، فاشترت هذه الملابس لتغيظني.

اوغل روبرت انامله في شعره الكث ثم اراح يده على مؤخر عنقه وقد اعتراه سأم. وبصوت جاف عاد يخاطبها:

- لا تنطقي هراء. انت تدركين جيداً ان ما كنت ترتدينه في مالايا لن يبدو مناسباً عملياً، خصوصاً في فصل الشتاء هنا (ثم ارخى نظره الى حيث مجموعة العلب وسألها) ألم تنظري ما في داخلها؟

- كلا حتى اني لم احل رباطها.

تردد روبرت لحظة ثم فك ازرار سترته وانحنى يحل رباط اقرب علبة طاولتها يده. كانت العلبة تضم تنورة من الجوخ لونها اخضر. اخرجها وتأملها متفحصاً. ثم قال بنبرة متزنة:

- يبدو انها تناسبك.

- انك لا تتردد في اهانتي. أليس كذلك؟

- ولماذا اتردد؟ فانت لا تجدين غضاضة في اهانتي.

- انا... أهنتك؟ وكيف هذا؟

- كيف تتصورين كان شعوري حين عدت من فنزويلا وادركت انك تزوجت مايكل؟

- افضل الا نتطرق الى هذا الموضوع.

- انا متأكد انك لا ترغبين في بحث هذا الموضوع. اذ هو لا يقبل الجدل! (لاحت ابتسامة قاسية عند طرفي شفتيه. واضاف) الا انك كنت صريحة معي، صريحة بحق، لقد جعلتني ادرك بوضوح اي غبي كنت فعلاً...

- انت لا تدرك حقيقة الامر!

- بل اني ادركها جيداً، جولي. فقسم من الصفقة التي اتممتها كان بدافع المال، أليست هذه في النهاية حقيقة الامر؟ كنت قد نجوت من مصيدتك. اي رصيد في مصرف هو بقيمة اي رصيد آخر!

مدت جولي يدها وصفعته بقوة، مما اجبره على التوقف عن حديثه. لم تدر ماذا سيكون رد فعله. الرد بالمثل، تصورت. الا ان روبرت لم يحرك ساكناً، بل ظل يحدق فيها بنظراته الثاقبة، وآثار الصفعة واضحة على

خده. فجأة، استدار على نفسه وخرج من الصالون.

حدقت جولي في الباب الموصد بعينين دامعتين، وهي تسأل نفسها: رباه، ما الذي فعلت؟

عادت تنظر الى العلب على الكنبة. وراودها شعور بتمزيقها ارباً مع محتوياتها. لكن هذا لن يفيد في شيء، سوى كونه اثباتاً لاتهامه اياها بالمراهقة.

٣ ـ دعوة للخروج

استجمعت كل قواها قبل ان تفتح الباب وتدخل الى القاعة. وما ان خطت اولى خطواتها حتى تلاشت الأصوات تدريجيا واتجهت انظار جميع الحاضرين صوبها.

بادرت لوسي قائلة، وهي تدنو من كنتها، وابتسامة متكلفة تواكب نظراتها:

ـ ها انت اخيرا، جولي! نحن جميعا في انتظارك. تعالي اقدمك الى الحاضرين.

اخذت لوسي كنتها من ذراعها ومشت واياها الى حيث يقف الآخرون، وعينا جولي شاخصتان الى امرأة شابة طويلة القامة، كانت تقف الى جانب روبرت. لم تكن باميلا هيلينغدون كما تصورتها جولي، الا ان هذه لم تستطع انكار كون المرأة جذابة. شعرها بني، ممتلئة الوجه نضرة الملامح. ثوبها الطويل ذو اللون الأرجواني ابرز قوامها الرشيق.

نظرت جولي الى روبرت. بدا هو الآخر ذا ملامح تنطق بالرجولة. كان يرتدي بذلة السهرة. وأحست جولي بانكماش في معدتها جعلها تشعر بتوعك خفيف. عيناه الرماديتان تتلطيان خلف رموشه الكثيفة وبدا وجهه خلوا من اي تعبير.

ـ فرنسيس... لويز... اقدم اليكما كنتي جولي. جولي، اقدم اليك والدي باميلا. باميلا، عزيزتي، اقدم اليك جولي.

صافحت الجميع بحركة آلية. وبدا لها والدا باميلا اصغر سنا مما تصورت. هما في اواخر الأربعينات من العمر. كانت عينا فرنسيس

هيلينغدون الزرقاوان تتفحصانها باعجاب لا تحفظ فيه . ويبدا لجولي رجلا جذابا . لم يكن بطول قامة روبرت ، الا انه كان قوي البنية . شعره اسود يخالطه الشيب . سالفاه طويلان .

اما لويز فكانت كابنتها طويلة . ويبدو للناظر اليها وزوجها أن ابنتها ازاءهما غير ذات اهمية .

بعد ان تعارف الجميع ، بادر فرنسيس قائلا :

- لقد تعرفنا لتونا الى ابنتك ، جولي . انها سيدة صغيرة رائعة .

ضحكت ايما قائلة :

- لقد ظن السيد هيلينغدون ان بيجامتي ورداء النوم ما هما سوى التقليعة الجديدة للباس السهرة .

ابتسمت جولي لها ، وقالت :

- هل قال هذا فعلا ؟ (ثم أردفت تذكرها) اعتقد انك اوضحت للجميع ان على السيدات الصغيرات الآن ان يأوين الى سرائرهن .

انعكست ملاحظة جولي تقطيبة ظريفة على وجه ايما ، وقالت تسأل :

- هل هذا يعني ان علي ان اذهب الى فراشي ؟

اجابت جولي بحزم :

- نعم .

بادر روبرت يسألها بصوت بارد :

- ماذا تودين ان تشربي ، جولي ؟

- كوب من عصير البرتقال ، اذا سمحت .

ما أن ترك روبرت المرأتين وحدهما ، حتى بادرت باميلا بالقول :

- هل تجدين صعوبة في التكيف ثانية مع الحياة في لندن ؟ لا بد انك وجدت الطقس باردا ، اليس كذلك ؟

وتدخلت لويز هيلينغدون للحال :

- هل كنت تعيشين في مالايا ؟

اومأت جولي برأسها ايجابا :

- نعم ، هذا صحيح (ثم اخذت من روبرت كوب العصير) اوه ، شكرا (وعادت تكمل حديثها مع السيدتين) نعم . الطقس بارد جداً ، الا ان التدفئة المركزية في الشقة تخفف من الاحساس بقسوته .

سألها فرنسيس وهو يقدم اليها لفافة تبغ :

- ما رأيك في منزلك ؟ كان ملكا لأحد اصدقائنا .

- نعم . لقد قيل لي هذا . يبدو منزلا جميلا جدا . لقد اخذني روبرت لمشاهدته . البارحة .

نظرت باميلا الى خطيبها وعادت خطوة الى الوراء لتفسح له مجال مشاركتهم في حلقتهم ، ثم سألته :

- متى سيكون في استطاعة جولي ان تنتقل الى منزلها ؟

اجاب روبرت :

- في نحو اسبوع او اكثر قليلا . فأعمال الديكور اوشكت على الانتهاء .

نظرت باميلا الى جولي ثانية ، وسألتها :

- هل اعجبك الديكور ؟

- اعجبني جدا . عرفت ان معظم التصاميم كان لك فيها الرأي الأخير .

ابتسمت باميلا معلقة :

- هذا صحيح . كان الأمر مسليا بالفعل ، نوعا من التمرس ، لي ولروبرت ، الى ان نجد منزلنا الخاص .

تلك اللحظة ، بادرت لوسي هاتفة :

- اليس من السخافة بمكان ان نظل جميعا قياما ، هنا ؟ الا يمكننا ان نجلس في راحة ؟

التفت روبرت نحو لويز :

- هلا تفضلت بالجلوس ، لويز ؟

اتكأت ايما على ساعد مقعد والدتها . والحديث دخل في العموميات . وما هي الا دقائق قليلة حتى لاحظت جولي ان النعاس بدأ يغالب عيني ابنتها . اذ اخذ جفناها ينسدلان على عينيها تعبا . نهضت من مقعدها قائلة :

- هيا بنا ، حبيبتي ، اضعك في فراشك .

نهض روبرت وفرنسيس ، احتراما . وبابتسامة اعتذار طلبت من ايما ان تلقي التحية على جدتها والآخرين وتتقدمها الى غرفتها .

عادت جولي بعد فترة وجيزة ، وكان العشاء جاهزا . فتوجه الجميع الى غرفة الطعام .

في الصالون ، وضع روبرت بضع اسطوانات ، فامتلأ الجو بألحان « البعد الرابع » للموسيقار بيرت بكارا .

جلست باميلا وروبرت على كنبة واحدة ، فيما استغرقت لوسي ولويز في حديث ثنائي طويل . وباعتبارهما والدتي عروسي المستقبل ، فقد كان طبيعيا أن يدور حديثهما حول تفاصيل حفلة الزواج . وهكذا ، بقيت جولي وحيدة مع فرنسيس .

بعد ان غادرت عائلة هيلينغدون ، احست جولي كما لو انها كانت تعرف فرنسيس منذ اعوام طويلة . وشعرت بالامتنان له كونه جعل امسيتها الصعبة تنقضي ساعاتها بسرعة ومتعة .

واكبهم روبرت الى سيارتهم . وبعد خروجهم ، تنهدت لوسي تعبيرا عن الرضى .

قالت تسأل جولي :

- أوليسوا عائلة رائعة ؟

- بالكاد تسنى لي التحدث مع اي منهم ، اللهم سوى أطراف حديث تبادلته مع فرنسيس .

- فرنسيس ! (بدت لوسي مذعورة ، وأضافت) لا اظنك ناديته باسمه مجردا ، كما فعلت الآن ؟

- ولم لا ؟

- اسمعي ، عزيزتي ، انت بتصرفك هذا لم تكوني في مستوى لائق . اتدرين من يكون ؟

- لست مهتمة للأمر كثيرا .

- اذن ، ربما من الأجدر بك ان تعلمي انه رئيس مجلس ادارة شركة هيلينغدون . والده هو السيد ارنولد هيلينغدون . وسيرث والد باميلا اللقب هذا بعد وفاة ابيه .

- شيء عظيم !

امتقع وجه لوسي من الغضب ، وقالت :

- كان عليّ ان ادرك سلفا ان معلومات كهذه لا وقع لها في نفسك ولا

قيمة ...

- فعلا ، اعرف هذا . ولن اكون في أي حال عقبة في طريق احد .

شرعت لوسي تفرغ منفضة ملأى بأعقاب السكائر في سلة قمامة صغيرة ، ثم سألت جولي :

- لم اكن ادري انك تدخنين ؟

- اني لا ادخن .

- لكنك فعلت هذا المساء !

- ادخن في المناسبات فقط ، هذا كل ما في الأمر (وتنهدت قبل ان تضيف) هل استطيع ان آوي الى فراشي ؟

اجابت لوسي وهي تستدير مبتعدة :

- لم لا ؟

- لم اكن متأكدة مما اذا كان يحق لي ان افعل من دون استئذان .

فجأة ، فتح باب الشقة ثم اوصد ثانية ، وكان القادم روبرت . دخل الغرفة وهو يفك أزرار سترته . وبدا متضايقا لكثافة دخان السكائر . وظهرت تقطيبة على وجهه ، تماما كما تفعل ايما . وحبست جولي انفاسها . احست باقترابه منها ، ثم وقف قبالتها . بادرها بصوت بارد ميزت فيه لهجة تحدٍّ .

- حسنا ؟ اراك غيرت رأيك ؟

لم ترد جولي على ملاحظته ، اذ ادركت انه كان يشير بكلامه الى ثيابها . اما لوسي فتملكتها الحيرة والتساؤل .

- غيرت رأيها ؟

قال روبرت واشارة من يده تحسم تساؤل والدته :

- لا شيء !

ثم جال بنظره في الغرفة وأردف :

- ما هذه الفوضى !

رفعت لوسي كتفيها استخفافا . وقالت :

- هالبيرد سيهتم بأمر تنظيف الغرفة صباحا .

سار روبرت الى حيث ابريق العصير . سكب لنفسه كوبا ، ثم التفت نحو والدته يسألها :

- اترغبين في كوب ؟
سبقت جولي حماتها في الجواب :
- انا ارغب في واحد .
سكب روبرت لها كوبا وحمله اليها . بادرت لوسي تثير ثانية موضوع علاقتها المتوترة بجولي . وشكت لابنها معاملة كنتها لها وتصرفاتها الاستفزازية ، فتطلع روبرت ناحية والدته متأملا ، ثم قال :
- اذا كانت علاقتكما مستعصية فما من احد يمنعك من العودة الى شقتك .
فوجئت جولي باقتراحه هذا . اذ لم يكن من عادته ان يتكلم مع والدته بهذا الاسلوب الفظ .
هتفت لوسي مذعورة :
- ماذا ؟ واتركك هنا وحيدا . . . معها ؟
- وماذا في الأمر ؟ (سألها روبرت ساخرا ، ثم اضاف) لا اظنك تعتقدين ان في الأمر مانعا . . . من كلا الطرفين ؟
اجابت لوسي وهي تحدق فيه محاولة استقراء ما يجول في ذهنه :
- بل هناك مانع . هذا فضلا عن اني لست متأكدة من ان باميلا ستقبل ان اترك الشقة .
مرر روبرت راحة كفه على عنقه :
- ولم لا ؟
اجابت لوسي بامتعاض :
- لا تكن بليد الذهن روبرت .
- لست كذلك ، امي . اذا كنت تقصدين ما اظنه يراود مخيلتك ، فلا اعتقد صراحة ان وجودك سيكون عقبة في طريقي اذا ما رغبت في مغازلة جولي !
هتفت لوسي وقد امتقع وجهها :
- روبرت !
الا ان روبرت هتف بدوره غاضبا :
- انها الحقيقة ، امي . في الواقع ان وجودك هنا بهدف حمايتي ليس ضروريا . جولي هي ارملة اخي . . . لهذا ، علي ان انهض بأعباء

معيشتها . هذا كل ما في الأمر . هل انت مقتنعة الآن ؟ (استدار مبتعدا ، ثم أردف قائلا) الآن ، الأفضل لنا جميعا ان ننال قسطا من النوم ، فانا تعب .
نهضت جولي من مقعدها وهي ترشف ما تبقى في كوبها . رمقتها بمرارة ، وقالت لروبرت ملاحظة بسخرية :
- احسنت . فتحديدك اللبق لعلاقتك بي ، اعجبني هل لي ان اضيف على ما تفضلت ، بأن الأمر يعود اليك فقط في توفير قوتي أو عدمه !
ذات يوم ، وكان مضى اسبوع على وجودها في لندن ، رن جرس الهاتف وكانت وحيدة في الشقة ، وفوجئت لدى سماعها صوت فرنسيس هيلينغدون .
هتف قائلا :
- جولي !
- نعم . . . هل المتكلم . . . السيد هيلينغدون ؟
- فرنسيس (اوضح في اقتضاب) كلمة سيد تبدو كأنك تعتبرينني كهلا .
ابتسمت جولي :
- لم اقصد هذا اطلاقا .
بدا فرنسيس مستمتعا بالحديث :
- اني متأكد انك لم تفعلي . هل انت في حال جيدة ؟
- بخير والحمدلله (التفتت الى الوراء ، وقد شعرت بقدوم هالبيرد الى الغرفة ، واستدركت) مع من كنت ترغب في التحدث ؟ روبرت غير موجود . انه في مكتبه في الشركة ، وحماتي اصطحبت معها ايما في نزهة الى حديقة الحيوانات .
اوضح مؤكدا ، اذ فوجيء بسؤالها :
- اردت التحدث اليك ، جولي .
فرفعت كتفيها تسليما للأمر ، امام هالبيرد .
قالت مرددة ، ليفهم الخادم حقيقة الأمر :
- اردت التحدث الي ؟
فأومأ هذا برأسه تهذيبا ثم غادر الغرفة .

- نعم . اردت ان اسألك اذا كنت تقبلين دعوتي الى الغداء . هذا ، اذا لم يكن هناك ما يشغلك ؟

- الى الغداء ؟ (رددت جولي وهي تستجمع حواسها . وبدا لها انها تردد كلماته ببغاويا وهي في حال مرتبكة) لكن . . . لماذا ؟

ضحك فرنسيس .

- هل علي ان اقدم سببا لدعوتي اياك ؟ الا تستطيعين تقبل رغبتي في دعوتك الى الغداء ، مجردة من اي سبب ؟

بدت جولي كمن غلب على امره ، وقالت :

- حسنا . لست ادري . . .

- لماذا ؟ تقولين ان روبرت في مكتبه ، ولوسي وايما خرجتا الى حديقة الحيوانات . فما الذي يمنعك من قبول دعوتي ؟ اما اذا كنت مرتبطة بمواعيد اخرى ، في هذه الحال طبعا ، اقدم اعتذاري المناسب ، واعدل عن الموضوع .

تنهدت جولي .

- كل ما في الأمر ان دعوتك لي جاءت مفاجئة .

- اذن ؟

وانتظر فرنسيس سماع جوابها .

خالج جولي مزيج من المشاعر المتضاربة . ففكرة الغداء مع فرنسيس تغري ، اذ هو شخص مسل وذو شأن في آن ، ولم تشك للحظة في انها ستتمتع برفقته . لكن هناك امورا اخرى عليها أن تأخذها في الاعتبار : ماذا سيقول روبرت ، اولا ، وأية قصة خبيثة ستختلق لوسي عن الموضوع برمته، ثانياً.

ولأن تقييد حياتها لها بدا نوعا من الاستفزاز يحض على اقتراف أي عمل متمرد لا يغتفر ، اتخذت جولي قرارها .

اخيرا ، اجابت فرنسيس :

- حسنا . اني اتطلع الى ان اتناول الغداء معك . اين نلتقي ؟

بدا فرنسيس منشرحا وقال مقترحا :

- سآتي الى عندك لاصطحبك . نحو الثانية عشرة ؟

بلت جولي شفتيها :

- حسنا . سألقاك عند مدخل البناية .

- اتفقنا .

أقفل فرنسيس الخط . وأعادت جولي هي الأخرى سماعة الهاتف الى مكانها بيد مرتعشة . لقد قضي الأمر وقبلت دعوته . ولم تعد تستطيع ، بالتالي ، التراجع عن موافقتها ، حتى ولو ارادت ذلك . اذ انها لم تكن تدري وسيلة للاتصال بفرنسيس ، ولا هي كانت تعلم مكانه ورقم هاتفه . فضلا عن انه لم يعد هناك متسع من الوقت لذلك . وما هي الا ساعة أو أقل حتى يكون في انتظارها عند اسفل السلم .

تأملها فرنسيس بتمعن فترة طويلة قبل ان يعود الى حاله ويدير محرك السيارة . ثم قال معلقا ، وقد انطلق بالسيارة في شارع ايتون غايت:

- تبدين جميلة جدا . . . الحقيقة اني تساءلت عما اذا كنت ستعدلين عن المجيء ؟

حدجته جولي بطرف عينيها :

- هل كان مفروضا فيّ ان افعل ؟

- ليست هذه وجهة نظري .

- الى اين نحن ذاهبان ؟

- الى مطعم « الطائر الأرجواني » (اجابها وهو يراقب رد فعلها ، ثم اضاف) انه مطعم يقع في شارع سلوت . هل سمعت به من قبل ؟

هزت جولي رأسها نفيا ، قائلة :

- كلا . لكن هذا ليس غريبا قياسا على الظروف (وتنهدت قبل ان تضيف) لقد انقضت ستة اعوام مذ دعاني شخص الى الغداء في لندن .

- اذن ، اعتبر نفسي محظوظا . سنشرب نخب هذه المناسبة .

ضحكت جولي لملاحظته الطريفة . وأحست براحة كبرى وهي تأمله .

مطعم « الطائر الأرجواني » كان يستحق الشهرة التي له . فالطعام فيه كان شهيا . وأحست جولي على رغم متعتها بالدعوة بأسف وهما في طريق العودة الى شقة روبرت .

خلال جلسة الغداء ، لم يتعد حديثهما العادي من المواضيع المختلفة .

وما ان اقتربت بهما السيارة من البناية ، حتى قال فرنسيس :
ـ هل تقبلين دعوتي ثانية ، جولي ؟
نظرت اليه جولي ، وعيناه شاخصتان بثبات الى الأمام تستطلعان الطريق :
ـ هل تريدني ان اخرج معك ثانية ؟
ـ طبعا .
ـ لست ادري ما اذا كان مناسبا ان تفعل هذا .
ـ ولم لا ؟ (ورمقها بنظرة قصيرة ، ثم اضاف) الم تمضي وقتا ممتعا في رفقتي ؟
ـ بلى . لكن ليس هذا هو المقصود .
ـ لا افهم ما ترمين اليه .
ـ بل انت تفهم تماما ما عنيت . عندما ... دعوتني الى الغداء ، سألتك عن السبب وكان جوابك لي ... هل يجب ان يكون هناك سبب لتقبلي دعوتي ؟ حسنا ، الآن ، ارى سببا لذلك .
قطب جبينه :
ـ بالتأكيد ، السبب واضح . اني ارتاح لوجودك .
ـ وزوجتك ؟
ـ لويز ؟ وماذا عنها ؟
ـ هل هي على معرفة بدعوتك لي اليوم ؟
ـ لا لزوم لأن تعرف . فالأمر لا يخصها .
ـ بل على العكس (تنهدت جولي ثم اضافت) الم تدرك قصدي بعد ؟ انها اذا ما علمت اننا كنا معا اليوم ولم تخبرها بالأمر سلفا ... ماذا سيكون موقفها ؟
ـ الحقيقة اني لا اكترث لهذا كثيرا .
حدقت فيه جولي تستشف مغزى كلامه وسألته :
ـ لماذا ؟
ـ هل عليّ ان اوضح لها الأمر ؟ الحقيقة ان علاقتي بلويز انتهت منذ سنوات . نعم ، ما زلنا متزوجين ، ونتصرف كأننا سعيدان . انما المسألة كلها لا تتعدى مصلحة باميلا ، وأهلي . هذا كل ما في الأمر .

تنفست جولي بعمق ، وقالت :
ـ فهمت الآن .
أحنى فرنسيس رأسه يتأمل ازرار سترته ، وقال :
ـ ارى ان الحقيقة هذه تجعلني ، بالطبع ، فاقد الاعتبار والاحترام .
ـ ماذا تقصد ؟
رفع فرنسيس نظره نحوها ، وقد ارتسمت على وجهه سخرية مرة ، وأجاب :
ـ هل يمكنني ان افهم انك نادمة لخروجك معي اليوم ؟ ستفكرين ان عليك بعد الآن ان تكوني اكثر احترازا في علاقتك معي وستقولين لنفسك : هذا رجل يسعى وراء هدف ابعد من صداقة مجردة !
تلون وجه جولي . واعتدل هو في جلسته بحركة عصبية . ثم قال :
ـ أترين ؟ اني على حق في ما قلت ، اليس كذلك ؟
سألته بلطف :
ـ وهل انت فعلا ؟
ـ هل انا ماذا ؟
ـ هل انت وراء ما يتعدى صداقة مجردة ؟
تنهد فرنسيس قائلا :
ـ قد اكون غبيا وكاذبا في آن اذا انا انكرت ذلك . لكن ، اذا كنت تعتقدين اني ارغمك على القيام بأي عمل لست مستعدة لقبوله ، فأنت مخطئة . اني اميل اليك ، ولا استطيع انكار هذا . لكن اذا كان ما تريدين من علاقتنا هو صداقتي فقط ، فأنا مستعد لأكون صديقا بكل ما للكلمة من معنى .
قالت جولي ، تحدق فيه وقد غلبت على امرها :
ـ اوه ، فرنسيس .
ـ لقد توترت اعصابنا فجأة . وهذا لا ينفع في شيء (ثم نظر الى ساعته ، وقال) علي ان اعود . لدي موعد ... دعيني ارى . منذ نصف ساعة !
شهقت جولي :
ـ منذ نصف ساعة ؟ لقد تأخرت !

تمتم فرنسيس بكلمات مبهمة وبدا غير منزعج للأمر .

دفعت جولي باب السيارة وانسلت خارجا وهي تقول :

ـ من الأفضل ان اذهب .

وفي اللحظة نفسها خرج فرنسيس هو الآخر ودار حول السيارة قادما ناحيتها .

ـ اشكرك لقبولك دعوتي .

ـ بل انا شاكرة لك ! (وهزت رأسها دلالة الرضى وهي تضيف) كان غداء رائعا .

اومأ فرنسيس :

ـ حسنا .

ثم عاد الى الجهة الأخرى من السيارة . الا انها اوقفته وهي تضع يدها على كتفه .

ـ الن تدعوني الى الخروج معك ثانية ؟

ـ وهل تقبلين ؟

ـ باعتبارك صديقا ، نعم .

اخذ يدها بين راحتيه ، وقال :

ـ حسنا ، سأتصل بك خلال ايام قليلة . اذا لم يكن هناك مانع .

اومأت جولي موافقة :

ـ حسنا . الوداع ، فرنسيس .

ـ الوداع ، جولي . اخلى يدها وخف عائدا الى مقعده في السيارة .

* * *

حين دخلت الشقة، تناهى الى سمع جولي بوضوح صوت انثوي. واحست بقلبها يغور في صدرها. ظنت ان لوسي عادت، ولا بد انها ستتحرى منها تفسيراً لخروجها من دون ان تعلم احداً بالمكان الذي قصدته.

سوت سترة ثوبها، والقت حقيبتها على الطاولة في رواق الشقة، ثم دفعت باب الصالون ودخلت. غير ان التي كانت في الداخل تقتعد الكنبة لم

تكن حماتها، بل امرأة شابة لم تكن التقتها قبلاً. التفتت هذه نحوها متسائلة اذ خطت داخل الغرفة. كان روبرت هناك ايضاً، يقف متكدر الوجه الى جانب النافذة، ويداه خلف ظهره.

اغلقت جولي الباب ثم اسندت ظهرها اليه. وارتسم على جبينها المعقود سؤال اذ استعصت عليها هوية المرأة. ثم حدجت صهرها مستفسرة. فاقترب هذا متثاقلاً، ليقف وراء الكنبة.

بادرها بصوت بارد:

ـ طاب يومك، جولي اني مسرور جداً ان اراك قد قررت العودة، اخيراً. الآنسة لوسن وانا ننتظرك منذ ما يقارب الساعة.

اوضح قائلاً وعيناه تجبهان عينيها بقوة احست معها انها طفلة اعتراها الخوف:

ـ الآنسة لوسن هي المربية التي اخترتها لترعى ايما. لقد اطلعتك قبلاً على هذا الموضوع، ان كنت تذكرين.

ـ اني آسفة لتخلفي عن استقبالك، آنسة لوسن.

وتوجهت نحوها لتصافحها. مدت لها المرأة الشابة يداً متراخية، وجولي تقول:

ـ انا جولي بمبرتون، والدة ايما.

رأت الآنسة لوسن ان الوقت مناسب لتعيد بعض الحماسة الى الجو المتشنج، فانتصبت على قدميها وقالت:

ـ كيف حالك سيدة بمبرتون؟ (كانت اطول قامة من جولي، وبدا ان هذا راقها. ثم اضافت بصوت مهذب) انه لسرور عظيم لي ان اتعرف اليك. بالمناسبة، اين هي ايما؟

رفعت جولي نظرها صوب روبرت. وسألته:

ـ ألم تعودا بعد؟ اذ ان والدتك اخذت ايما الى حديقة الحيوانات.

عقد روبرت يديه على صدره، فبدا بهذه الحركة اكبر حجماً واكثر قوة، ما لم يسبق لجولي ان لاحظته فيه قبلاً، خصوصاً متى قورن مع فرنسيس الاقصر منه قامة، والاصغر بنية. ثم قال:

ـ ضروري ان تتعرف الآنسة لوسن الى ايما اليوم. فغايتي من ترتيب هذا اللقاء هي الافساح في المجال للآنسة لوسن ان تعطي رأيها في موضوع

تدريسها.

- لم اكن ادري اننا اتخذنا قراراً نهائياً في هذه المسألة.

تجهم وجه روبرت وقال:

- انما العكس هو الصحيح. كل شيء تم ترتيبه. الآنسة لوسن ستقطن معكما في ثورت هيلم لدى انتقالكما الى المنزل الجديد في نهاية الاسبوع. ولست ارى سبباً حقيقياً يعوق هذا الامر.

شمخت جولي برأسها وقد صممت على الا تسمح له بان يهول عليها في حضرة امرأة غريبة وقالت بلهجة حازمة:

- اني متأكدة ان مدرسة القرية مكان مناسب لتبدأ فيه ايما دراستها. وعندما تصبح اكبر سناً...

قاطعها روبرت وبريق بارد يغلف نظراته:

- اتركي لي الحكم المناسب في هذه المسألة، جولي.

فاجابت تحاول استرضاءه:

- الا تعتقد ان علينا تداول هذا الموضوع ملياً قبل اتخاذ اي قرار؟

- ليس هناك مجال للبحث فيه اكثر.

- لا اوافقك الرأي (وابتسمت للآنسة لوسن ابتسامة خفيفة، واضافت) لا شك عندي ان الآنسة لوسن مربية ممتازة، الا اني افضل ان تخالط ايما اولاداً آخرين خلال النهار.

- لست في وارد الخوض معك في جدل عقيم، جولي. لقد احضرت الآنسة لوسن الى هنا، كما سبق وقلت، لتتعارفا، ليس الا.

بدت جولي مهتاجة. الا انها، وقد ادركت ان القرار ليس في يدها، التفتت الى الفتاة تسألها:

- هل ترغبين في فنجان شاي، آنسة لوسن؟

اومأت الفتاة موافقة:

- نعم، شكراً.

واسرعت جولي في اتجاه الباب، بعد ان اشارت لها لتجلس ثانية. في الممر الذي يصل الصالون بالمطبخ قطع عليها روبرت طريقها واعترضها مانعاً اياها من التقدم. امسك بمعصمها ولوى ذراعها. ثم قال لها بنبرة مزمجرة متوحشة:

- اين كنت حتى هذه الساعة؟ اتعلمين انها تخطت الثالثة والنصف؟

رفعت اليه جولي نظرها والغضب يملؤها. كان الممر ضيقاً لوجودهما معاً ولم يحدث ان كانا على مثل هذه المسافة القريبة جداً، منذ عودتها من مالايا. كانت اصابعه الممسكة بمعصمها باردة قاسية، اما شرارات السخط التي كانت تنبعث من عينيه فلم تكن من البرودة في شيء. وبدا على وشك ان ينفجر من الغضب. قالت توضح له:

- انت لست قيماً على حياتي الخاصة، روبرت.

- لم اقل اني هكذا. فقط سألتك اين كنت؟

- خرجت اتغدى في احد المطاعم.

- اللعنة عليك. اعلم هذا. لكن ما لا اعرفه هو من كان في صحبتك الى الغداء؟ (وشد على معصمها وهو يسألها) هل تريدين ان احطم عظم معصمك؟

- لن تتجرأ!

- أتراهنين!

وبدا من عينيه الملتهبتين انه جاد في ما يقول.

احست جولي بانقباض في حلقها، وقالت:

- انك متوحش! اذا كان لا بد ان تعرف من هو الشخص الذي خرجت معه الى الغداء، فلا بأس في ذلك. انه فرنسيس!

- فرنسيس؟ (ردد متسائلاً) فرنسيس من؟

- فرنسيس هيلينغدون! (بدا واضحاً ان روبرت صعق لوقع الاسم هذا. غير انه لم يدعها تفلت من قبضته، واضاف يسألها غير مصدق) والد باميلا؟

- هو اياه (واضافت بلهجة ساخرة) دعني وشأني!

تجاهل روبرت طلبها، وعاد يسألها:

- ماذا تظنين انك تفعلين بخروجك معه الى الغداء؟ انت بالكاد تعرفينه.

اجابت والنبرة الساخرة تلازم صوتها:

- نعم، والآن توطدت معرفتي به.

- ايتها اللعينة. كيف اتفق ان خرجت معه؟

- لقد دعاني الى ذلك (اجابته، وابتسامة تتوزع قسمات وجهها. واضافت) ليس هناك اي سوء في ما فعلت. اتصل بي هذا الصباح ودعاني الى الغداء. هذا كل ما حصل.

قال روبرت وعيناه لا تفارقان وجهها:

- لم اكن اتصور ان فرنسيس يمكن ان يقدم على امر كهذا.

- انه ليس كما تظن. ثم، ماذا تعني بقولك: امراً كهذا. لقد قلت لك ان ليس في الامر اية غاية اخرى.

- انا متأكد من هذا (ونظر الى يدها الاسيرة بين اصابعه واضاف) يغريني الآن ان اهشم معصمك كما افعل بعود ثقاب (بدا وجهه كالحاً) ام ترى من الأفضل ان احطم عنقك؟

اطلقت جولي ضحكة عالية، غير مدركة ما في عينيه الرماديتين من شر، ثم قالت:

- كف عن هذا التصرف الارعن، روبرت، اننا نضيع الوقت، بينما الآنسة لوسن... تنتظر مني ان احضر اليها فنجان شاي، وقد تتساءل ما الذي اخرني.

اجاب روبرت بصوت اجش:

- لا يهمني ابداً ان تنتظر الآنسة لوسن فنجان الشاي.

- لكني انا اهتم لهذا.

كان روبرت لا يزال يحدق فيها بوقاحة غريبة، تخضبت وجنتا جولي ورجته ان يتركها. الا انه لم يعر رجاءها اهتماماً.

فجأة، شدها اليه، ولوى ذراعها خلف ظهرها. نظر اليها بعينين زائغتين.

- حسناً؟ (غمغم بصوت اجش) ماذا في استطاعتك الآن ان تفعلي؟

تلوت جولي من الألم تقاومه على غير طائل. وزادته محاولاتها هذه تصميماً. فاشتدت قبضته على معصمها، وضغط عليها حتى كادت تنقطع انفاسها.

قالت له ثانية وقد وهن صوتها:

- ارجوك، روبرت.

- ايتها اللعينة... انك لا تتبدلين ابداً، ولا يهمك من تجرحين!

سوت جولي قميصها بأنامل مرتجفة، والغضب حل مكان ضعفها:

- لم اطلب منك ان تلمسني.

كان روبرت لا يزال يحدق فيها بنظرات تربكها. ومن دون ان يعلق بكلمة، ابعدها من طريقه ليختفي داخل غرفته. ظلت واقفة لفترة حيث تركها. وكانت ترتعش من قمة رأسها حتى اخمص قدميها. ثم اقتربت من باب المطبخ واسندت يدها اليه، وقالت وفي صوتها عزم مصطنع:

- هاليبرد، هلا احضرت لنا ثلاثة فناجين شاي؟

راودتها فكرة الذهاب الى غرفة روبرت. الا انها فضلت ان تسلك طريق التعقل.

كانت الآنسة لوسن في مكانها تنتظر، وفي يدها لفافة تبغ. وبدا التأفف عليها لحظة دخلت جولي الغرفة.

بادرت جولي تعتذر لتأخرها:

- آسفة لتأخري، ثانية. لقد طلبت من الخادم احضار الشاي. هلا اخبرتني قليلاً عنك؟

نظرت اليها المرأة الشابة وفي عينيها عداء لم تستطع جولي ان تتبين له سبباً، ثم سألت مستوضحة:

- هل هذا يعني انك موافقة على وجودي مربية لايما؟

جلست جولي في مقعد من الجلد قبالة الفتاة، ثم قالت بتحفظ:

- لنقل، حاضراً، اني اقبل الوضع على حاله.

رفعت الآنسة لوسن حاجبيها استغراباً وقالت:

- لكن السيد بمبرتون هو مخدومي.

تنهدت جولي، وقالت:

- هذا صحيح، الى حد ما، اسمعي آنسة لوسن. من المفترض ان تعرف الواحدة منا الاخرى جيداً، هذا اذا قيض لنا ان نعيش معاً (وحاولت ان تبدو اكثر وداً فاردفت قائلة) ما اسمك الاول؟ اذ ليس من المعقول ان اناديك آنسة لوسن طوال الوقت.

- اسمي ساندرا (اجابت الفتاة) الا اني افضل ان ينادى علي باسمي كاملاً في حضور ايما، لأن رفع التكلف مع الأطفال لا يساعد في انضباطهم، كما تعرفين.

حاولت جولي جاهدة ان تكتم ابتسامة بانت على شفتيها .

ـ لا اظنك في حاجة الى ممارسة اصول الآداب مع طفلة في الخامسة ، آنسة . . . ساندرا . ثم ، ان ايما ليست من ذلك النوع من الاطفال . . .

ـ اي نوع من الاطفال تقصدين ، سيدة بمبرتون ؟

ـ الذي يحتاج الى التأديب . هذا الى ان ايما طفلة مهذبة جدا ، ولا استطيع ان اتصور انها قد تكون مصدر اي مشكلة كبيرة .

ـ انت والدتها ، سيدة بمبرتون . وبالتالي لا يمكنك أن تدركي المشكلات الطارئة التي تواجه المدرس في مهنته .

اجابتها جولي وقد احست بالسخط رغما عنها :

ـ ما استطيع تصوره هو ان الأمر يعود بغالبيته الى قدرة المدرس وكفايته .

بدد دخول هالبيرد تلك اللحظة ، التشنج الذي بدأ يسيطر على حوارهما . وانهمكتا بسكب الشاي وانتقاء بعض الفطائر . رشفت جولي من فنجانها من دون ان تأكل شيئا ، اذ انفت نفسها الطعام في هذه الساعة من النهار .

اما ساندرا لوسن فأكلت مليا وبشهية ظاهرة .

همت هذه تسكب لنفسهافنجانا ثالثا من الشاي حين دخل روبرت ، ولاحظت جولي ان روبرت استحم ثم ابدل ثيابه ، اذ كانت قطرات من الماء لا تزال عالقة تلمع على شعره الأسود . وبدا متكاسلا على عكس ما كان منذ فترة قصيرة .

انفرجت اسارير ساندرا لرؤيته ثانية . وابتسمت له بحرارة ، بينما تعابير وجهه على حالها لم تتغير ، سوى رقة باهتة ظهرت في عينيه وهو ينظر اليها .

فجأة تغير سلوكه ، حين نظر الى جولي . وسألها بصوت فظ :

ـ حسنا ؟ هل تم ترتيب كل شيء ؟

رفعت جولي كتفيها بلا مبالاة ، واجابت :

ـ ليس عندي ما اقوله في هذا الشأن .

ـ جولي !

ـ حسنا . قم انت بالترتيبات التي تراها مناسبة (ثم نهضت من

مكانها ، وأضافت) يبدو ان لا قيمة اطلاقا لوجودي هنا .

بدا روبرت يتلظى غيظا لموقف جولي هذا . واذا بصوت الباب الخارجي يفتح ، مما جعله يلتفت نحوه فجأة في انفعال .

اطلت ايما من باب الصالون . صغيرة ، سمراء ، ينطق وجهها بالحنان وهي ترتدي معطفها الأحمر وسروالا اخضر . توقف نظرها عند ساندرا لوسن . ونظرت الى والدتها مستفسرة .

انحنت جولي تضمها اليها ، وقالت :

ـ اهلا حبيبتي ، هل امضيت وقتا ممتعا ؟

اجابت ايما بانفعال وحماسة :

ـ كان يوما رائعا ، امي ! (وأفلتت من والدتها تعدو الى حيث كان روبرت واقفا . اخذت يده بين راحتيها تشد عليها بقوة) لقد شاهدنا كل انواع الحيوانات ، عمي . وقد اشترت لي جدتي بوظة ومرطبات وحلوى .

سألها روبرت بلهجة لا تخلو من البرودة :

ـ هل اشترت لك ، فعلا ، كل هذا ؟

ثم اخذت ملامح وجهه تلين امام سحر وجه الطفلة . لم يكن هناك ادنى شك في انه كان يكن لها عاطفة كبيرة . وتساءلت جولي عن سبب الألم الذي يتولد فيها كلما لاحظت ذلك .

اردفت ايما تسرد له في شوق وفرح :

ـ شاهدنا ايضا قطيعا من الجياد . اتدري ماذا قالت لي جدتي ؟ . . . لقد قالت ان في امكاني ان اقتني جوادا حالما ننتقل الى الريف . هل هذا صحيح ؟ هل ستشتري لي جوادا ، عمي ؟

قالت جولي وقد احست بضيق مفاجىء :

ـ ايما .

كذلك فعلت لوسي في لهجة حادة ، وهي تدخل وتنزع قفازيها :

ـ ليس في الوقت الحاضر ، ايما .

ثم انتبهت لوسي الى وجود ساندرا لوسن فانفرجت اساريرها ، وهتفت :

ـ ساندرا ! عزيزتي ساندرا . لم اكن على علم بقدومك اليوم ، والا لكنت بقيت في المنزل لاستقبالك .

قال روبرت ، موضحا ، وهو يساعد ايما في نزع معطفها :

- لم تكن الآنسة لوسن نفسها على علم بموعد قدومها . لقد اتصلت بها هذا الصباح (والتفت نحو الطفلة يقدم اليها الفتاة) الآنسة لوسن ستكون مربيتك . هل تعلمين ما معنى كلمة مربية ؟

قطبت ايما حاجبيها ، تجيبه :

- هل تعني انها مدبرة ؟

- كلا . كلمة مدبرة تشبه في معناها الراعية . بينما المربية هي اقرب الى معلمة منها الى مدبرة . انها تعطي دروسا ، كما في المدرسة .

عظم الاهتمام في وجه ايما وسألته :

- . . . في المدرسة ؟

انحنى روبرت يجلس القرفصاء قرب الطفلة . عيناه في موازاة عينيها . ثم اوضح لها قائلا :

- انا قلت ، كما في المدرسة ولم اقل في المدرسة . ان الآنسة ستقطن معكما ، انت ووالدتك ، في ثوروب هيلم .

تحولت نظرات الطفلة صوب والدتها ، لتتثبت من حقيقة الأمر ، غير مصدقة ما قاله عمها ، واحست جولي بقلبها ينفطر .

قالت الطفلة معترضة :

- لكن . . . لكن امي قالت لي اني استطيع الذهاب الى مدرسة مناسبة متى عدنا الى لندن !

اجابها روبرت وهو ينتصب ثانية :

- والدتك كانت مخطئة .

أبت ايما ان تقر بالواقع الجديد ، وعادت تسأله وهي تشده بطرف سترته :

- لكن ، لماذا ؟ تعال ، اقترب عمي .

واشارت اليه باصبعها فعاد ينحني ثانية .

- ماذا تريدين الآن ؟

ارخت ايما يديها على كتفيه ، ثم ادخلت اصبعين في اذنيه ، وقالت :

- لماذا لا استطيع كغيري الذهاب الى المدرسة ؟

تنهد روبرت وقد أعيته اسئلتها المباشرة ، فتدخلت لوسي وهي

تتفحص كمية الشاي في الابريق :

- كفي عن طرح اسئلتك السخيفة ، فعمك يعرف جيدا ما هو الأصلح لك .

أمسكها روبرت من خصرها الصغير ، وانتصب ثانية . فاذا هي بين ذراعيه . يداها حول عنقه تحكمان الطوق كمن يمتلك كنزا بين يديه .

تساءلت جولي وهي تراقبهما عما اذا كانت ايما ترى في روبرت نظيرا لوالدها . اذ بدا انه يحنو عليها ، والطفلة استجابت لحنانه .

ابدت لوسي انزعاجا لتصرف روبرت المدلل للطفلة ، فهتفت فيه قائلة :

- انزل الصبية عن ذراعيك ، روبرت . فهي لم تعد طفلة صغيرة !

غير ان روبرت تجاهل كلام والدته . وأخذ يدغدغها . فخبأت هذه رأسها عند عنقه ، تقهقه .

لم تعد جولي تستطيع تحمل رؤيتهما معا اكثر من ذلك . اذ كان المنظر هذا بالنسبة اليها تجربة مؤلمة جدا . فبادرت قائلة :

- استميحكم عذرا . . .

ولم تكمل كلامها اذ قاطعتها لوسي تسألها :

- هل تم التعارف بينكما ، انت وساندرا ؟

تنهدت جولي قبل ان تجيب :

- الى حد ما .

اوضحت لوسي :

- ساندرا صديقة قديمة لباميلا . كانتا معا في مدرسة واحدة . ثم اختارت ساندرا التخصص بتعليم الاطفال مهنة لها بدلا من الزواج (وابتسمت بلطف قبل ان تضيف) انا متأكدة من انك ستجدينها اهلا لمهنتها .

قالت جولي وهي تضغط بأصابعها على راحتيها :

- انا متأكدة من ذلك .

كان في امكانها ان تدرك ان احساس تلك المرأة الشابة حيالها ، من خلال سلوكها ونظراتها اليها ، هو اكثر من مجرد استعداد غريزي . وبالتالي سيكون حضورها الدائم في المنزل بمثابة مهمة مراقبتها . اذذاك

شعرت جولي بحاجة الى البكاء . ماذا يعتقدون انها تكون ؟ وماذا يخشون ان تقوم به ؟

استعادت أنفاسها ، وهي تنظر الى ايما بين ذراعي روبرت . وقالت :

ـ هيا بنا حبيبتي ، عليك الاغتسال قبل ان يحين موعد العشاء .

تشبثت ايما بروبرت ، كما يفعل الاطفال حين لا يريدون القيام بعمل لا يرغبون فيه . وكادت جولي أن تفقد صبرها حيال تصرف ابنتها . وقبل ان تفضحها حالها النفسية المتأزمة وتجعلها مدعاة للسخرية ، جمعت قفازيها وحقيبة يدها وخرجت من الغرفة ، وأغلقت الباب وراءها باحكام .

٤ ـ سهرة مع رجل لطيف

صباح الأحد ، كان مقررا ان يوصلهما روبرت الى ثورب هيلم ، الا ان برقية عاجلة تلقاها مساء الجمعة ، يشعره فيها مكتب الشركة في نيويورك باجتماع كان يريد ان يحضره ، اضطرته الى السفر . وكانت باميلا ، ساعة تسلمه البرقية تلك الليلة في الشقة تنتظر موعد ذهابهما الى المسرح . وحضته على السفر ، على ان تتكفل هي بايصال جولي وايما الى ثورب هيلم . وقالت :

ـ في اي حال ، عزيزي ، ليس مهما من منا يوصل جولي والطفلة . أليس كذلك ؟

لم يجبها روبرت ، ورفع كتفيه غير آبه ، ثم قال :

ـ انت محقة . لا اعتقد ان الأمر مهم . هذا ، اذا كانت جولي لا تمانع .

لم تتحمس جولي لفكرة باميلا هذه . فاقترحت تقول :

ـ يمكننا ان نستقل سيارة اجرة .

فتحت باميلا ذراعيها فارغتين ، وقالت :

ـ ليس هذا ضروريا ، عزيزتي ، فأنا متفرغة . . .

ورمقت روبرت بنظرة ذات دلالة مبهمة .

اضطرت جولي الى القبول . وهكذا ، اوصلتهما باميلا الى المنزل . ثم ساعدتهما في نقل حقائبهما الى الداخل .

ظهرت السيدة هادسون من المطبخ ، لتستقبلهن . بدت امرأة قصيرة القامة ، كما جولي ، انما ممتلئة الجسم ، غلب على شعرها الشيب وعلى

وجهها ابتسامة لا تفارقه . خصت ايما باستقبال مميز . وقالت :
- القهوة جاهزة ، سيدة بمبرتون ، انها في انتظارك في الصالون . هل ترغب الصغيرة في المجيء معي الى المطبخ ؟ سأقدم اليها بعض الحلوى ، انتهيت لتوي من تحضيرها .
اتسعت حدقتا ايما ، وهتفت فرحة :
- رائع .
لكن جولي نبهتها قائلة :
- اياك ان تتخمي معدتك .
- لن ادعها تفعل ذلك .
اجابت السيدة هادسون ، تعد جولي . ولسبب في داخلها جهلته ، لم تصدقها هذه الأخيرة . هذا ، وبدت لها السيدة هادسون امرأة اهلا لأن تكون جدة مثالية لايما . واحست بوخز من الذنب لتصورها هذا .
رافقت السيدة هادسون ايما الى المطبخ . وأخذت جولي تتأمل حولها في غرفة الاستقبال بعين راضية . كانت جدرانها مطلية بالأبيض ، بينما امتدت سجادة حمراء داكنة تغطي ارض الغرفة حتى اعلى درجات السلم التي تؤدي الى الطبقة العلوية .
كان الأثاث يبعث الدفء ويوحي بالترحيب . تقدمتها باميلا في اتجاه الصالون . وكانت هذه تتصرف كما لو انها في بيتها هي . جلست في مقعد قريب من الطاولة حيث صينية القهوة . وبدت بهذا كما لو انها هي التي تستقبل جولي .
غير ان جولي أبت ان تفقد رباطة جاشها . اذ ليس مهما ما تفعله أو تقوله الواحدة منهما للأخرى . فهي وايما تمتلكان الآن منزلا خاصا بهما . ومن الآن فصاعدا ، سينصب اهتمامها ، معظم فترات وقتها ، على التطلع الى شؤونهما الخاصة .
بعد أن تناولت جولي فنجان القهوة ، وكانت قد جلست في مقعد الى جانب النافذة ، بادرتها باميلا بالقول :
- اظن انك ستجدين الراحة التامة هنا ، الا توافقينني الرأي في هذا ؟
تصنعت جولي ابتسامة خفيفة ، وقالت :
- اعتقد ذلك ، انه منزل قديم وجميل .

- نعم . انه كذلك . طلبت من روبرت ان يشتريه بادىء ذي بدء ليكون منزلنا في المستقبل . الا انه اعترض على صغر حجمه .
رشفت جولي قليلا من فنجانها . وقالت :
- اني ارى ما تقصدين .
- الحق يقال ، ان روبرت كان سديد الرأي . ذلك انه بين فترة واخرى يقيم بعض الحفلات والمآدب . الشقة في الوقت الحاضر تحاصره ولا تسمح له بهذا . لكن ، متى تزوجنا ، سيكون في استطاعتنا ان نستضيف ضيوفنا بحرية اكثر . فالعازب ، كما تعلمين ، لا يقيم وزنا لهذه الأمور .
هزت لوسي رأسها تهذيبا اشارة موافقة .
وحدقت باميلا في جولي هنيهة غير قصيرة ، فبدا الارتباك على هذه الاخيرة . ثم قالت الفتاة :
- كنت ذات يوم مخطوبة لروبرت . اليس كذلك ؟
اعادت جولي فنجان القهوة الى مكانه بيد مرتجفة . فأحدث احتكاكه بالصحن قرقعة لدى ملامسته الطاولة . وأجابت قائلة :
- نعم ، هذا صحيح .
أطرقت باميلا قليلا قبل ان تقول :
- لقد اخبرني روبرت ذلك .
بلعت جولي لعابها بصعوبة ، اذ كانت ترفض مبدئيا ان يبحث روبرت في شؤون حياتها الخاصة مع باميلا . وتساءلت عن سبب طرح باميلا لهذا الموضوع بالذات .
- الا انك تزوجت اخاه ؟
بدت باميلا كأنها تستجوبها .
اومأت جولي برأسها :
- نعم . مايكل .
- قال لي ، كذلك ، انكما فسختما خطبتكما قبيل سفره الى فنزويلا في مهمة عمل ؟
- نعم . هذا ما حصل .
- هل لديك مانع ان توضحي لي سبب ذلك ؟
بدت باميلا متحسبة ، مترقبة .

- هل هذا الأمر يهمك كثيرا ؟
- اود ان اعرف السبب .
- لماذا لا تسألين روبرت ؟

بدت باميلا مترددة قبل ان تجيب :

- لقد فعلت . . . قال لي انك انت التي اردت فسخ الخطوبة .

تلونت وجنتا جولي احمرارا وعلقت :

- هل هذا ما قاله ؟
- هل هذه هي الحقيقة ؟
- نعم . انها . . . الحقيقة .
- لكن ، لماذا ؟

وبدا الاهتمام في حاجبي باميلا المعقودين .

لم تكن جولي تدري جوابا . فتنهدت . ثم قالت :

- ان الأمر واضح . . . الا تعتقدين ذلك ؟ لقد وقعت في غرام مايكل !

عادت الاشراقة الى وجه باميلا ، وقالت ، اذ اطمأن بالها :

- اوه . اني آسفة لما حصل . الا ان ما اخبرتني به في شأن مايكل ، لم يخطر ببالي . وكان يجب ان استنتجه سلفا ، لأنك تزوجت مايكل قبل ان يكون روبرت عاد من مهمته في الخارج . أليس كذلك ؟

بدت جولي عاجزة عن الكلام ، فأومأت ثانية برأسها تؤكد فحوى سؤال باميلا . ثم اوضحت في اقتضاب :

- لقد تغيب روبرت آنذاك فترة ستة اشهر .
- نعم . هذا ما قاله لي . لكن الا تعتقدين ، على ما اتصور ، انك كنت سافرت معه ، لو ان ظروفك حينذاك كانت مختلفة ؟

تمنت جولي لو تستطيع تغيير موضوع حديثهما . وبدا تبرمها واضحا في حركات اصابعها . ثم قالت تسألها :

- هل لديك سيكارة ؟

تناولت باميلا حقيبة يدها ، تبحث عن علبة السكائر . ثم استطردت تقول بعد ان اشعلت كل منهما واحدة :

- هل تمانعين في طرحي هذه الأسئلة عليك ؟ الحقيقة اني اجد صعوبة في البحث في مواضيع من هذا النوع مع روبرت .

نفثت جولي دخان سيكارتها ، ثم اجابت :

- كلا . لا بأس في ان تسأليني ما تشاءين . (وانتصبت على قدميها وهي تتلوى ثم استطردت تقول) هل تعتقدين اننا سنمضي فصل شتاء قاسيا . . . لقد نسيت كيف يكون شكل الثلج .

نهضت باميلا بدورها ، واقتربت تقف الى جانبها عند النافذة . ثم اجابت بصوت مهذب :

- لم اذكر لك شيئا من هذا القبيل قبل الآن . الا اني ، ولو متأخرة ، اقدم اليك تعزيتي لوفاة زوجك . من المؤسف ان الفرصة لم تسنح لي لأتعرف اليه .

حدقت فيها جولي بعينين زائغتين . وتساءلت عما يمكنها ان تجيب معلقة على ذلك . ثم تمتمت بصوت خفيض :

- شكرا .

اومأت باميلا برأسها مؤاسية وهي تضع يدها بلطف على كتف جولي . ثم قالت :

- علي الآن ان اذهب . امي في انتظاري وقد اقترب موعد الغداء ، فضلا عن اني دعوت اصدقاء الى الغداء عندي (وترددت قليلا قبل ان تضيف) اني انتظر زيارتك لنا ، بعد ان تستقر بك الحال هنا . كما اني متأكدة ان والدي سيكونان سعيدين برؤيتك .

كان روبرت لا يزال في الولايات المتحدة ، بعد ان مدد زيارته ليستطيع الانتقال الى سان فرنسيسكو . ولم تكن عودته منتظرة قبل اسبوع . وكان طبيعيا الا يكون هناك اتصال مباشر بينه وبين جولي . الا ان لوسي كانت تتصل كل يوم تقريبا وتطلع جولي على كل المستجدات .

اتصل بها فرنسيس هاتفيا ، يوم الخميس . رفعت سماعة الهاتف بتلكؤ ، وقد تصورت ان المتكلم سيكون امرأة عمها . وفوجئت حين تناهى صوته الى مسمعها .

- مرحبا ، جولي (وتراءت لها ابتسامته الساحرة) أوتظنين انني نسيتك كليا ؟

رفعت كتفيها لا تدري ما تجيب ، ثم قالت مازحة :

- لا تقل لي انك عدلت عن رأيك في دعوتي ثانية .

ضحك فرنسيس وأجاب :

ـ من الصعب جدا ان افعل هذا . اخبريني ، كيف تجدين حياتك الجديدة في الريف ؟

جلست على ذراع المقعد الذي بقربها ، ثم اجابت :

ـ لا بأس بها . اننا نتكيف جيدا وبسرعة مع واقعنا الجديد ، فضلا عن ان ايما تعشق الحرية المتوافرة لها هنا .

ـ لا شك في ذلك فعلا . اذ هي على ما اتصور لم تعرف معنى الحرية في مالايا .

ـ لم تعرفها حقا . فقد كانت في رفقة مدبرة ترعاها معظم الوقت . كيف حالك ؟

ـ اجاهد في هذه الحياة ، وحيدا (اجابها مداعبا ، واستطرد يقول) هناك سبب واحد منعني من الاتصال بك قبل الآن وهو اني كنت خارج البلاد ، في اسكوتلندا وقد عدت ليلة امس .

ـ روبرت مسافر ، كذلك .

ـ اعرف هذا . فأخباره دائما موضوع اي حديث يجري في منزلي .

ـ عفوا ، كان علي ان اعرف هذا سلفا . لقد سها عن بالي وجود باميلا .

بدأ حديثها يسليه .

ـ فعلا ؟ مما لا شك فيه ان هذه مهمة صعبة .

ضحكت جولي ثانية وقالت بطريقة عفوية :

ـ انا مسرورة لأنك اتصلت .

ـ هل انت فعلا كذلك ؟ لماذا ؟

تنهدت جولي قبل ان تجيب :

ـ آه . لست ادري . ربما لأني اشعر قليلا باكتئاب . اعتقد ان اختلاف المناخ بانتقالنا من مكان الى آخر اثر علي قليلا . . . ثم ، ان المربية ستصل يوم الأحد .

ـ المربية ؟ تقصدين . . . ساندرا لوسن ؟

ـ نعم ، هل تعرفها ؟

ـ طبعا اعرفها . كانت زميلة باميلا ايام الدراسة .

ـ هذا صحيح (وتذكرت ان حماتها كانت اخبرتها بذلك) لقد نسيت .

ـ ماذا بك ؟ هل يضايقك وجودها في شيء ؟

اجابت جولي جازمة :

ـ لن ادعها تفعل ذلك .

ضحك فرنسيس وبدا انه لم يقتنع بجدية جوابها ، وقال :

ـ يبدو ان الأمر ينذر بخلاف بينكما . اسمعي ، جولي . لم اتصل بك لأقضي نصف ساعة في الحديث معك على الهاتف . اريد ان اراك . متى يكون ذلك ؟

ترددت جولي بادىء الأمر ، ثم قالت :

ـ لست ادري ، فهناك ايما . . .

ـ احضري ايما معك . . . ما رأيك في ان احضر الى الغداء في منزلك ، بدعوة منك ؟

ـ لا مانع عندي .

علق فرنسيس وقد لاحظ ترددها :

ـ يخيل الي انك لست متحمسة للفكرة . هل هذا يعني انك لا تحبذين مجيئي ؟

ـ عفوك فرنسيس . بالطبع يمكنك ان تتغدى معنا . سأحضر لك في المناسبة طبقا خاصا !

ـ يبدو هذا مشجعا . ما هو نوعه ؟

ـ انتظر ترَ (ورمقت ساعة يدها ، وأضافت) انها الحادية عشرة . اين انت الآن ؟

ـ في المنزل .

صعقت لجوابه وهي تردد :

ـ في المنزل !

ـ لا تجزعي ، اني في مكتبي ، وما من احد يستطيع سماع حديثنا .

ـ لكنك تبدو من صوتك كمن يسترق الحديث ؟

ـ هل ابدو كذلك حقا ؟ اني اعتذر عن ذلك . حسنا . انا ذاهب الآن لأخبر لويز وباميلا ، لا شك في انهما تودان المجيء معي .

ـ فرنسيس !

- هل تريدينها معي الى الغداء ؟

تنهدت جولي . فهي ارادت ان تلتقي فرنسيس ثانية . اذ هو الوحيد الذي كان يعاملها معاملة جيدة . فضلا عن انها كانت في حاجة الى من تستطيع التحدث اليه .

- اذن ؟

- حسبك ان تتفضل وحدك في المجيء .

واقفلت الهاتف .

ما ان انتهت من ارتداء ثوبها وتصفيف شعرها ، حتى كانت سيارته تتوقف امام باب المنزل الرئيسي . اطلت ايما قادمة من المطبخ . وسألت والدتها :

- هل هذا العم فرنسيس ؟

كانت جولي اعلمت السيدة هادسون في حضور ايما بقدوم ضيف الى الغداء . وبدت هذه فرحة لهذا النبأ .

- نعم ، حبيبتي . انه العم فرنسيس .

وذهبت تفتح له الباب .

بدا فرنسيس فتيا ، وهو في بنطال بيج وكنزة بنية اللون . ورمقته جولي بنظرة دافئة .

بادرهما محييا وهو يدغدغ ايما تحت ذقنها . فضحكت . ثم توجه الى جولي هامسا :

- لا تنظري الي هكذا ، والا تمنيت لو لم اكن ذلك الانسان الطيب الذي تتصورين .

ابتسمت جولي لكلماته المداعبة ، وقالت :

- هيا بنا الى الداخل ، لا اعتقد ان المكان غريب عنك .

بدا لها فرنسيس انسانا مختلفا عن اي رجل عرفته من قبل .

تقدمتهما ايما الى غرفة الجلوس . وبدأ يتأمل الغرفة ، ثم قال :

- نعم . اعرف المكان . انه جميل ، اليس كذلك ؟ علما ان ابنتي اختارت ديكوره !

ضحكت جولي ، قائلة :

- اترغب في فنجان قهوة ؟

- نعم . شكرا .

وجلس على الكنبة وايما الى جانبه .

بادرته الطفلة بسؤال خلوٍ من اي تحفظ :

- اين هي العمة باميلا ؟

ابتسم فرنسيس راضيا عن سؤالها وأجابها :

- انها في المنزل .

- الم تشأ ان تأتي معك ؟

- اعتقد انها ترغب في ذلك ، غير اني لم اسألها (واضاف مبتسما اذ لمح خيبة في وجهها) كانت كلما اتت لتراك تتحاشى ان تدعوني للمجيء معها . فلماذا اسألها انا اذا كانت لا تفعل الشيء نفسه ؟

بدت ايما راضية لتبريره ، وسألته :

- هل قدمت حقا ، لتزورني فقط ؟

- ولأزور والدتك ايضا (اجابها ، وتناول فنجانه يرشف منه قليلا ثم اوضح قائلا) الحقيقة اني حين اجيء لزيارتك ادعي اني جئت لأزور والدتك ايضا ، فلا ابدو هكذا انانيا في تصرفي (وغمز لها) اعتقد انك تدركين ما اعني .

ضج المكان من ضحكة ايما العالية . ثم اقتربت جولي تجلس بالقرب منهما ، وقالت تسأله :

- كيف اتفق ، فرنسيس ، انك لم تنجب سوى باميلا ؟

ثم ادركت بعد فوات الأوان اي سؤال وقح ، فضولي هذا الذي طرحته .

لكن فرنسيس بدا غير ممانع ، فأجابها :

- لم يكن ذلك مستطاعا .

لم تكن السيدة هادسون قابلت فرنسيس من قبل . وأخذت ترمق جولي بنظرة مبهمة . ثم قالت :

- يبدو رجلا لطيفا . اليس كذلك ؟ انه صبور جدا .

- نعم . الا تدرين انه والد الانسة هيلينغدون ؟

- لقد استنتجت ذلك .

- اظنك استنتجت ايضا انه يجب الا يكون هنا ؟

- لماذا ؟
- لكن الأمر واضح تماما . . . انه رجل متزوج .
في هذه اللحظة ، تناولت السيدة هادسون الأطباق لتجليها ، ثم قالت :
- لكن لا علاقة بينكما من اي نوع؟
- كيف تدعين هذا ، وانت لا تعرفين واقع الحال ؟
- اعرف ما فيه الكفاية لأدرك اذا كانت هناك علاقة حب بين رجل وامرأة .
شهقت جولي فاغرة فاها ، لكن الخادمة تجاهلت رد فعلها واستطردت تقول :
- هل سيبقى السيد هيليتغدون الى حين العشاء ؟
- لا اعتقد ذلك .
- كان يجب الا اتفوه بكلمة في ما لا يعنيني .
رفعت جولي كتفيها غير مقتنعة بما قالته السيدة هادسون ، وأجابتها :
- انا مسرورة اخيرا لأنك فعلت . . . فليس هناك احد سواك استطيع البوح اليه بما يحتمل في داخلي .
- حسنا . لا يداخلنك قلق . فانا اعرف متى اكتم خبرا .
التفتت اليها جولي والاستنكار باد عليها :
- هذا يبدو رهيبا . اتدركين ذلك ؟ (وضحكت) اوه ، سيدة هادسون . انت على حق ، انه رجل لطيف .
ما ان عاد فرنسيس وايما الى الداخل ، حتى احضرت السيدة هادسون ابريقا مليئا بالشاي . ارتمى فرنسيس متعبا في احد المقاعد . وقال لايما شاكيا :
- لقد ارهقتني !
بينما هرعت هي تدير جهاز التلفزيون وتتخذ لنفسها مكانا قريبا قبالة الجهاز .
ابتسمت ايما وقالت :
- انه وقت برنامج « العاب المدرسة » . لا اظنك حقا تعبا ، عمي فرنسيس . ام انت كذلك بالفعل ؟

- لا اظنك جادة في سؤالك . وهل تتصورين اني اقضي فترة القيلولة كل يوم اركض في الحديقة ؟
- هذا نافع لك .
علقت ايما . وهي انما كانت تردد ما تسمعه بين حين وآخر عن فائدة العدو ممن هم اكبر منها سنا .
- يعجبني ان تفكري بهذا الاسلوب (قال فرنسيس . ثم التفت الى جولي التي اقتربت منه تقدم اليه الشاي ، وسألها) ارى اني استحق فنجانا من الشاي .
- بالتأكيد (ابتسمت له وسألته) هل انت باق الى العشاء ؟
حلت ملامح الجدية على وجهه محل امارات التفكه ، وأجاب :
- في الواقع ، ليس هناك شيء آخر افضل عندي من البقاء معك . الا انني سبق ودعوت لويز الى تناول العشاء ، في احد النوادي . اذ نحن معتادان في كل خميس ان نلعب البريدج .
خاب ظن جولي لجوابه ، فأومأت باشارة من رأسها ، وعلقت :
- لا بأس .
عاد فرنسيس يتأمل ايما التي كانت مستغرقة في تتبع الحلقة التي يعرضها التلفزيون . ثم تطاول نحو جولي وأخذ يدها بين راحتيه ، وقال :
- اوه ، جولي ! اطلبي مني ان ابقى . وسأفعل ذلك راضيا .
سحبت يدها بحياء ، وغيرت الموضوع ، وقد تسارعت انفاسها :
- اتريد سكرا مع الشاي ؟
- حبتين ، من فضلك (وتنهد . ثم عاد يسألها) هل تقبلين دعوتي الى العشاء في بحر هذا الاسبوع ، وقبل ان يصل التنين ؟ (وأدركت انه بنعته هذا انما قصد ساندرا لوسن . بدت مترددة ، فأردف قائلا) ما رأيك في ان نخرج معا مساء السبت ؟ انها امسية تغري . اولا ترغبين في امسية كهذه ان ترتدي اجمل ثياب لديك وتنزلي الى المدينة ؟ انا متأكد ان السيدة هادسون يمكنها ان تهتم بايما .
- لا اشك في انها اهل لذلك (وبلت شفتيها) يبدو الأمر . . . رائعا .
- اعدك بأن سهرتنا ستكون كذلك بالفعل .
- حسنا . سأسأل السيدة هادسون قبل خروجها اذا كانت تقبل ان تهتم

بالطفلة .

- حسنا (وتناول فرنسيس فنجانه وأضاف) صدقيني . ان الأيام المقبلة التي تفصلنا عن موعدنا ، ستجرجر نفسها ببطء .

بعد ان ذهب فرنسيس ، واتفقت مع السيدة هادسون ، احست جولي بندم كبير . ثم وضعت ايما في سريرها وذهبت الى المطبخ بدل ان تعود الى غرفة الجلوس كما عادتها ان تفعل كل امسية . كانت السيدة هادسون في هذه الأثناء تجلي الأطباق . وعندما دخلت عليها جولي استقبلتها الخادمة بابتسامة عريضة .

بادرت تسأل سيدتها :

- هل ترغبين في شيء ، سيدة بمبرتون ؟

- جئت اثرثر معك قليلا .

اخذت جولي خرقة تنشف بها الأطباق النظيفة على مسطح المجلى .

- لا لزوم لأن تفعلي هذا (هتفت الخادمة) يمكننا ان نتبادل اطراف الحديث . وانا اتكفل بالأطباق .

- بل ارغب في مساعدتك (ثم استطردت تقول) لقد سئمت العيش وحيدة .

سألتها الخادمة مستفسرة :

- هل اوت ايما الى سريرها ؟

- اوه ، نعم ، كانت جد مرهقة بعد يوم حافل .

ضحكت السيدة هادسون وقالت :

- كذلك كانت حال السيد هيلينغدون . لا عجب .

ابتسمت جولي قائلة :

- انه يعاملها بمحبة . اليس كذلك ؟

- نعم . سيدتي . يبدو اهلا لأن يكون لديه اكثر من ولد في عمرها .

- لكن ابنته باميلا اصبحت شابة الآن ؟

- نعم .

بدت لهجة الخادمة معبرة ، فلم تستطع جولي ان تمنع نفسها من سؤالها ، متناسية انها تبحث في شؤون ضيوفها مع خادمتها :

- الا تحبينها ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه السيدة هادسون . وأجابت بديبلوماسية :

- لنقل انها ليست نجمتي المفضلة .

- ارى ما تقصدين .

عصرت السيدة هادسون الخرقة وشرعت تمسح مسطح المجلى ، ثم ادركت عدم صواب ما قالته في شأن باميلا :

- لكن ، لا بد ان اكون مخطئة . اذ ان السيد روبرت يحبها كثيرا .

- انت تعرفين . . . روبرت ؟

- باركك الله ، طبعا اعرفه . كنت اعمل سابقا لوالدته ، يوم كان لا يزال هو واخوه مايكل صبيين صغيرين .

ظهر التعجب في عيني جولي ، وسألتها :

- احقا ما تقولين ؟ بالله عليك ، اكملي . اخبريني المزيد .

- عن مايكل ، سيدتي ؟

- بل عن كليهما .

وتخضب خداها .

رفعت الخادمة كتفيها تتذكر :

- كانا طفلين مكتنزين ، لا يفصل بينهما سوى سنة واحدة .

- لا شك انك كنت ، يومئذ صغيرة انت ايضا؟

- كلا . كنت في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة .

- عجبا ، كم يبدو هذا العالم صغيرا .

اومأت السيدة هادسون برأسها تؤيد رأيها ، واردفت :

- عندما اشترى السيد روبرت المنزل هذا ، كان يبحث عن خادمة لتعمل فيه . فأتى توا الي يسألني ان كنت ارغب في ذلك .

جلست جولي على كرسي ، ثم قالت تسألها :

- هل كنت تصادفينهما خلال السنوات الأخيرة ؟

- كانا يأتيان لزيارتي ، بين حين وآخر ، وكنت قد تزوجت (بدت نظرات الخادمة المتأملة في اللاشيء مفعمة بالذكريات) كانا ولدين لطيفين .

- فعلا . . . هل عرفت اني كنت مخطوبة لروبرت ؟

بعد ان افرغت السيدة هادسون حوض المجلى ، اخذت تجفف يديها ، وقالت :

- نعم . عرفت هذا . بل اكثر . ذلك اني كنت تلقيت بطاقة دعوة الى حفلة زواجكما .

تخضبت وجنتا جولي ثانية . تنهدت السيدة هادسون قبل ان تضيف :

- لم اكن لأتصور ابدا ان زواجكما سيلغى . وان يسافر السيد روبرت الى فنزويلا . . . الى ما هنالك مما حدث يومها .

نهضت جولي من كرسيها وعلقت قائلة :

- تلك كانت ارادته .

- ان يذهب الى فنزويلا ؟

- نعم . وان يلغي حفلة الزواج ايضا .

- لكنه ، على ما اخبرت به يومذاك سيدتي ، اضطر الى السفر ، ذلك ان حادثا وقع هناك ادى الى مقتل احد الرجال . اليس كذلك ؟

- نعم . الحادث الذي تذكرين وقع فعلا في مشروع وادي شوابا .

- بالضبط ! وكان على السيد روبرت ان يذهب ليحل محل الرجل الذي ذهب ضحية الحادثة .

ردت جولي قائلة :

- لم يكن مضطرا الى الذهاب .

ظهر الارتباك في حركات السيدة هادسون لوجهة نظر جولي :

- لا اعتقد اني من هذا الرأي ، سيدتي . فارسال رجل آخر غيره كان يمكن الا يكون عملا صائبا ، الا تعتقدين ذلك ؟ هذا عدا ان السيد روبرت كان ، عمليا ، الشخص الوحيد المؤهل للحلول محل الرجل الذي قضى .

رفعت جولي كتفيها لا تبالي لحقيقة كلام الخادمة ، وقالت :

- في اي حال ، كان ذلك كله منذ زمن بعيد .

وافقت السيدة هادسون ، باحناءة من رأسها :

- نعم . كما لا يمكن ان تكوني قد احببته . ذلك لأنك تزوجت السيد مايكل اثر رحيله ، وسافرتما قبل عودة السيد روبرت الى لندن .

في هذه اللحظة توجهت جولي نحو الباب ، وقالت بنبرة لا تخلو من

انفعال :

- سافر روبرت قبل موعد زواجنا المقرر باسبوع واحد . هل كان زوجك ليفعل ذلك لو تهيأت له الظروف نفسها ؟

- هذا سؤال تصعب الاجابة عنه ، سيدتي . . . هل افهم من كلامك ان سبب خلافكما حينذاك ، كانت تلك الرحلة ؟

كادت جولي ان تفقد رباطة جأشها وترد على مغالاة السيدة هادسون لواقع الأمر ، الا انها تمالكت نفسها ، وقالت :

- انا لم اقل هذا .

- صحيح . في اي حال ، انت ادرى بامورك الخاصة . وانا متأكدة من انك ما كنت لتتزوجي السيد مايكل ، كما سبق وذكرت ، لو لم يكن لديك بعض الشكوك حيال علاقتك بروبرت .

فتحت جولي باب المطبخ . وقالت قبل ان تخرج :

- كلا . في اي حال ، من الأفضل الا نذهب بعيدا في بحث هذا الموضوع . يمكنك الانتهاء من عملك . واذا ما احتجت الى شيء في ما بعد ، فسأتدبر الأمر بنفسي .

- حسنا ، سيدتي ، شكرا . (نزعت السيدة هادسون مريلتها وطوتها بعناية ثم وضعتها في احد الأدراج . وقالت):

- سأغيب لمدة ساعة في زيارة للسيدة فيلدينغ في القرية .

- لا بأس .

تركت جولي الباب ينغلق خلفها وعادت الى الصالون ، وما ان دقت الساعة التاسعة ، حتى شعرت فجأة بالملل وهي تشاهد التلفزيون ، فعادت الى غرفتها لتأوي الى فراشها . لم تكن دامعة ، لكن قنوطا ثقيلا كان يكتنف احاسيسها .

صبيحة يوم السبت ، وصلت ساندرا لوسن فجأة ، من دون اي اشعار سابق .

فتحت لها السيدة هادسون تستقبلها ، كذلك اتت جولي الى الرواق تلتقيها . وبادرت ساندرا قائلة ، وهي تضع حقيبتيها ارضا :

- ارجو الا يكون لقدومي المفاجىء اي مانع لديك ، سيدة بمبرتون . الحقيقة ان مالكة الشقة التي كنت اشغلها اخطرتني بأنها اجرت الشقة

لشخص آخر اعتبارا من اليوم . لذا رأيت نفسي مضطرة ان اجيء الى هنا ، بدل ان ابدد دراهمي في قضاء ليلة في فندق . على كل ، يوم اكثر أو يوم اقل في التدريس ، ليس بذي بال .

بدت جولي مرتبكة لحضور ساندرا على حين غرة ، وحاولت ان تقول شيئا :

ـ انا . . . حسنا . . . سيدة هادسون ؟

اجابت الخادمة تطمئن سيدتها :

ـ حجرة الآنسة جاهزة سيدتي . ليس هناك اي اشكال .

حدجت ساندرا السيدة هادسون بنظرة فاحصة ، وبادرتها :

ـ لا بد انك السيدة هادسون . لقد اخبرتني عنك الآنسة هيلينغدون .

احنت السيدة هادسون رأسها .

ـ نعم ، انا هي ، آنستي .

عقدت جولي اصابعها وقالت :

ـ ليس هناك اي ازعاج في قدومك قبل التاريخ المحدد بيوم واحد . . . هلا قدت الآنسة لوسن سيدة هادسون ، الى غرفتها ؟ ثم احضري لنا بعض القهوة .

ـ حسنا ، سيدتي .

وتساءلت جولي ، كيف يعقل ان تخرج الليلة وتترك ساندرا وحيدة في اول يوم لوصولها ؟ وماذا عن اتفاقها السابق مع السيدة هادسون في شأن ايما ؟ قد تقرر ساندرا ، مثلا ، أن تأخذ المبادرة كونها المسؤولة عن ايما ، لتهتم بالطفلة في غياب والدتها . وعلى رغم ان جولي لم يتبادر الى ذهنها ان ايما يمكن ان تهتم كثيرا بمن سيرعى امرها في غياب والدتها ، الا انها كانت تشعر بأن ابنتها لم ترتح لساندرا لوسن .

بدا لها الوضع مثبطا ومصدر قلق . وتمنت لو تستطيع ان تفضي الى احد بما يعتمل في داخلها .

دخلت ايما الصالون ، تلك اللحظة ، قادمة من الحديقة . خداها متوردان والعرق يتصبب منها . وهتفت تسأل والدتها مستفسرة :

ـ من الذي جاء منذ لحظات في سيارة الأجرة ، امي ؟

تنهدت جولي قبل ان تجيبها :

ـ انها الآنسة لوسن ، حبيبتي .

ـ لكنك قلت انها لن تحضر قبل يوم غد ؟

ـ نعم . قلت هذا . لكن طارئا اضطرها الى المجيء قبل الموعد المقرر .

ارتسمت تقطيبة على وجه ايما :

ـ لماذا ؟ هل يعني هذا اني سأبدأ دراستي اليوم ؟

ـ لا اعتقد ذلك حبيبتي ، قبل مضي بضعة ايام . . . . لكن . . . ما هذا الحذاء الوسخ الذي تنتعلينه ! اذهبي وأبدليه بخفيك اذا اردت البقاء في المنزل .

بعدما خرجت ايما ، رفعت جولي سماعة الهاتف واتصلت بشقة روبرت . رد هالبيرد ، فسألته :

ـ هل السيدة بمبرتون موجودة ؟

ـ آسف سيدتي ، انها غير موجودة . خرجت هذا الصباح . هل تريدين ان اخبرها ، لدى عودتها ، انك اردت التكلم اليها ؟

ترددت جولي لحظة ، ثم قالت :

ـ كلا . ليس هذا ضروريا هالبيرد . شكرا .

ـ كما تريدين سيدتي . في كل حال ، سررت لسماع صوتك ثانية . هل استقريتما كما يجب ؟

ـ الى حد ما (وختمت مكالمتها) طاب يومك ، هالبيرد .

بقيت تحدق في سماعة الهاتف . بدا واضحا ان روبرت لم يعد بعد من الولايات المتحدة ، والا لكان هالبيرد اخبرها بذلك . تناولت دليل الهاتف وأخذت تبحث عن رقم هاتف آل هيلينغدون . وجدت الرقم وحدقت فيه لحظة وهي تتساءل ، هل ستتجرأ على الاتصال بفرنسيس ؟ وماذا اذا ردت باميلا اولا ، أو لويز ؟ ما هو التبرير الذي ستقدمه سببا لاتصالها ؟

ثم فكرت ان تتصل به في مكتبه . قد يكون هناك . واذا كان الأمر سلبيا ، فيمكنها ان تستعلم عن مكانه وتتصل به مباشرة .

اجابتها عاملة الهاتف في شركة هيلينغدون :

ـ السيد هيلينغدون موجود ، الا انه لا يتلقى اي مكالمة ، اذ هو يرئس اجتماعا لمجلس الادارة . هل ترغبين في ان تتركي له اشعارا ؟

تنهدت جولي مترددة ثم سألتها :

- هل في الامكان ان تبلغيه اني على الخط وعما اذا كان مناسبا ان اتكلم معه ؟

ترددت عاملة الهاتف ، وبدا انها لم تكن متأكدة من هوية جولي ، على رغم ان هذه ذكرت لها اسمها . ثم قالت :

- دقيقة واحدة ، آنسة .

وحوّلت الخط .

انتظرت جولي جوابا بنفاد صبر . وبينما هي كذلك ، دخلت ابنتها الغرفة وكانت قد اغتسلت ، وانتعلت خفيها . اقتربت من والدتها وهمست :

- من تخابرين ؟

اجابتها جولي بصوت خفيض :

- ليس الأمر مهما .

- هل هي جدتي ؟

- كلا .

وتساءلت جولي الى متى ستظل تنتظر الجواب ؟

مرت ثوان قليلة قبل ان يأتيها الجواب . كان المتكلم هذه المرة ، فرنسيس ، بصوته الهادىء :

- جولي ؟

- فرنسيس ! (هتفت وقد احست بالارتياح) عجبا . ان الذي يحاول الاتصال بك كمن يتصل بالقصر الملكي !

اطلق فرنسيس ضحكة خفيفة عبر الهاتف ، وقال بصوت رقيق :

- كنت في اجتماع اداري .

- اعرف هذا ، اني آسفة لازعاجك .

اجابها مطمئنا :

- لا تكوني سخيفة . ماذا في الأمر ؟

رمقت جولي ابنتها بنظرة مستسلمة ثم قالت :

- حسنا . ليس في استطاعتي الافصاح الآن . في المناسبة ، وددت ان اخبرك ان الآنسة لوسن هنا . لقد وصلت اليوم .

لم يبد في صوت فرنسيس انه اعار الخبر اهمية ، وقال متسائلا :

- وما الغرابة في ذلك ؟

- اليس هذا واضحا بما فيه الكفاية ؟

- تقصدين موضوع سهرتنا الليلة ، طبعا .

- بالضبط (وتنهدت قبل ان تضيف) ما العمل والحال هذه ، فرنسيس ؟

اجاب وقد اتسمت نبرته بالحزم :

- سنخرج ، طبعا ، الى العشاء كما اتفقنا .

- لكن كيف السبيل الى ذلك ، وهي تعرفك ؟

- وماذا ان هي عرفتني ؟

- ارجوك ، فرنسيس !

- اسمعي جولي . لقد اوضحت لك ان . . . معرفة الناس بعلاقتنا لا تهمني . وكل ما اهتم له هو انت فقط (وتنهد) اذا كان سبب اتصالك بي ، هو رغبتك في الغاء موعدنا الليلة لوجود تلك المرأة . . . فهذه مسألة اخرى .

شدت جولي بكلتا يديها على سماعة الهاتف :

- اوه فرنسيس !

- اسمعي . اذا كان ذلك يجعلك اكثر اطمئنانا ، فسأقترح على باميلا ان تزورك بعد ظهر اليوم . وهي حين ستجد ساندرا هناك ، فمن المؤكد انها ستدعوها الى منزلنا ، خصوصا ان روبرت لم يعد بعد . كيف يبدو لك هذا المخرج ؟

تنفست جولي الصعداء :

- هذا رائع (ثم شعرت بساندرا لوسن تدخل الغرفة فيما هي مسترسلة فقالت تنهي المخابرة) اسمع ، يجب . . . ان انهي الآن الحديث .

ضحك فرنسيس قائلا :

- فهمت قصدك . اي ورطة هذه التي انت فيها .

ضحكت جولي بدورها ضحكة ضمنتها ما لديها من رقة ولطف . واقفلت الهاتف . ثم التفتت الى الفتاة تسألها :

- هل كل شيء على ما يرام ؟

جلست ساندرا على الكنبة من دون استئذان ، وأجابت :

- نعم شكرا . (ثم التفتت نحو ايما تحييها) مرحبا ، ايما ! اود ان اتعرف اليك جيدا .

اجابتها ايما والريبة في عينيها :

- هل ستقطنين معنا ؟

- نعم . (وبدت ساندرا مرتاحة كأنها في منزلها ، وأضافت) عليك ان تريني في ما بعد ، المكان المعد لدراستك . هل أعدت لنا والدتك غرفة مستقلة ، نستطيع ان نعمل فيها بهدوء ؟

تنحنحت جولي قليلا ، ثم علقت قائلة :

- في الواقع ليست كل الغرف مفروشة بعد . الصالون وغرفة الطعام مفروشتان ، كذلك هناك ثلاث غرف جاهزة في الطبقة العلوية . لذا ارتأي ان يكتفى حاضرا بغرفة الجلوس أو غرفة الطعام .

عقدت ساندرا حاجبيها .

- اذن ، فلتكن غرفة الطعام . ذلك اننا لا نستطيع ان نعمل في مكان حيث لا توجد طاولة . وايما ستحتاج الى مسطح مقوى حتى تستطيع الكتابة .

سارعت جولي قائلة :

- في اي حال ، آمل ان انزل الى البلدة في بحر هذا الاسبوع ، أو الذي يليه ، لاختار بعض ما نحتاج اليه من فرش وأدوات منزلية . الا اني لن اشتري في الوقت الحاضر طاولة خاصة بالدراسة ، ذلك ان ايما تحتاج الى بعض الوقت لتتعود فكرة الجلوس عليها . ربما يكون من الأفضل ان تركزي على بعض الأمور الأكثر ملاءمة لطفلة في سنها ، حتى يتسنى لي ان اتدبر اختيار الأثاث الملائم كما يجب .

علقت ساندرا بطريقة فظة :

- لكن ، مضى اسبوع على انتقالكما الى هنا . اليس كذلك ؟ وهو وقت كاف ليتدبر المرء شراء ما يحتاج اليه .

- نعم (اجابت جولي وهي ترفع نظرها لتستقبل بارتياح قدوم السيدة هادسون تحمل صينية القهوة) شكرا جزيلا ، سيدة هادسون ، ضعيها على الطاولة .

- حسنا ، سيدتي (والتفتت الخادمة الى ايما تقول لها) هل تودين المجيء

معي الى المطبخ وتساعديني في صنع بعض الحلوى ؟

- اووه ، نعم . هل استطيع فعلا مساعدتك ؟

قفزت ايما منتصبة تهم بمرافقة الخادمة . فاذا بساندرا توقف اندفاعها ، ثم قالت توجه كلامها الى السيدة هادسون وقد بدا عليها الانفعال :

- مهلك سيدة هادسون . نكاد ايما وانا لا نعرف الواحدة منا الأخرى .

حدجتها جولي بنظرة حادة وقالت :

- اعتقد ان لدى ايما متسعا من الوقت لتتعرف اليك جيدا (واستطردت توجه كلامها الى ايما) يمكنك حبيبتي الذهاب مع السيدة هادسون .

انسلت ايما الى خارج الغرفة ، فيما الخادمة وساندرا تحدقان في جولي . ثم قالت المربية بصوت لا يخلو من حدة :

- كيف استطيع ان اضبط سلوك الطفلة بينما انت تقفين عقبة في وجه تعليماتي لها .

هزت جولي رأسها ، وهي تحاول ان تتمالك غيظها ، وأجابت :

- ان سماحي لايما بمساعدة السيدة هادسون لا يعني نقضا لتوجيهاتك . هذا ، اضافة الى انه لم يمض على وجودك هنا وقت طويل ، فلا تعاملي الطفلة بقسوة .

على اثر هذا الحوار الذي كان اقرب الى المشادة استؤنف الحديث بينهما متكلفا . وبدا واضحا ان ساندرا كانت لا تزال تعاني احساسا بالغبن ، وأخذت جولي تتطلع حزينة الى سنين مقبلة في رفقة هذه المرأة . كيف ستتمكن من تحمل هذا الوزر ؟ والى متى ؟

وفى فرنسيس بتعهده لها كما كان وعدها ، ووصلت باميلا بعد ظهر ذلك اليوم . كانت فرحتها عظيمة لرؤية ساندرا . تركتهما جولي ودخلت الى المطبخ تنشد مؤانسة السيدة هادسون .

كانت ايما لا تزال تلعب في الحديقة . اخذت جولي تراقبها بعينين حالمتين ، لفترة قصيرة ، قطعها صوت السيدة هادسون وهي تقول :

- ماذا عن الليلة ، سيدتي ؟ هل ما زلت تعتزمين الخروج ؟

- نعم (اجابتها جولي والتفتت نحوها وأضافت) تحدثت مع فرنسيس هاتفيا هذا الصباح وقد اقترح ارسال باميلا الى هنا . لأنه يعتقد ان ابنته يمكن ان تدعو ساندرا الى تناول العشاء في منزله ، ذلك انها صديقتان

حميمتان منذ زمن ، كما تعرفين ، هذا فضلا عن ان روبرت غائب .

لم تستطع السيدة هادسون ان تكتم ضحكتها ، ثم علقت قائلة :

- انها فكرة جهنمية !

- انها حقا كذلك . ثم ، اني لم اشأ ان اترك ايما في عهدتها وهي الليلة الأولى لها في منزلنا ، هذا طبعا ، عدا اعتبارات اخرى .

تنهدت السيدة هادسون تقول :

- ارى ما ترمين اليه ، سيدتي . لكن ، اذا كنت لا تركنين اليها ، لِمَ قبلت بها مربية لطفلتك ؟

- تلك كانت رغبة روبرت ، ظاهرا . ولم يكن لي آنذاك أي خيار آخر . فهو المسؤول قانوناً عن تربية ايما وتنشئتها .

- ليس هناك من هو افضل منه للاعتناء بها .

تخضبت وجنتا جولي لملاحظة الخادمة ، والتفتت نحوها تسألها :

- ماذا تقصدين بذلك ؟

- لا شيء سيدتي ، سوى ان السيد روبرت اهل لأن يرعى الطفلة .

- لكني انا امها !

- اعرف هذا . غير ان الطفل في حاجة كذلك الى رجل عطوف .

تنهدت جولي ، وقالت :

- أتفهم وجهة نظرك .

وعاد الى وجهها استقرار لونه .

- ماذا ظننت اني قصدت بقولي ، سيدتي بمبرتون ؟

تظاهرت هذه باللامبالاة :

- لست ادري (وتوجهت نحو الباب ، وقالت) انا ذاهبة لاستحم . اذا اردتني لشيء ، تعرفين اين تجدينني .

صح ما كان متوقعا . اذ دعت باميلا ساندرا الى العشاء مع اهلها ، وشعرت جولي بالغبطة تغمرها . الا ان غبطتها سرعان ما تحولت قلقا وارتباكا ، حين اقترحت عليها باميلا الذهاب معهما ، قالت :

- لم لا تأتين معنا . جولي ؟ والدي سيخرج الليلة تلبية لدعوة . وهكذا نبقى نحن الأربع فقط ، بحيث يمكننا ان نمضي سهرتنا في احاديث حميمية دافئة .

استبعدت جولي اي حديث بينهن يمكن ان يتصف بالحميمية الا انها فكرت مليا في الأمر قبل ان تجيب . ثم قالت تعتذر :

- في الواقع ، لا استطيع قبول دعوتك ، شاكرة لك هذا ، ذلك ان احدى صديقاتي اتصلت بي هذا الصباح . واتفقنا على ان تتصل ثانية هذا المساء . لا اظنني سأستطيع تلبية دعوتك ، اذ هي قد تتصل فلا تجدني الا تعتقدين ذلك ؟

بدت باميلا مصدقة لما قالته جولي . فأجابت :

- فعلا ، الأفضل ان تنتظري مكالمتها . (واضافت وهي تفرك راحتيها) هل قلت انها صديقة قديمة ؟

سارعت جولي تجيب :

- نعم . احداهن . . . كنت اعمل واياها .

- في شركة بمبرتون ؟

- نعم .

- هل اعرفها ؟

- لا اعتقد ذلك (احست جولي بكره حيال استجواب باميلا) لقد تركت العمل منذ مدة ليست قصيرة . اسمها . . . فاليري سميث .

- كلا . لا اظن اني اعرف واحدة بهذا الاسم (هزت باميلا رأسها . واضافت) حسنا . ساندرا ، علينا اذن بالذهاب .

نهضت ساندرا من مكانها وهي تومىء ايجابا ، وسألت جولي :

- هل هناك مانع في ان اذهب ، سيدة بمبرتون ؟

- كلا ، اطلاقا .

كل ما تمنته جولي تلك اللحظة ان تخرجا . فقد بدأ وجودهما يوتر اعصابها .

حين سمعت صوت محرك سيارة باميلا وهي تبتعد ، شعرت براحة قصوى . وعادت الى الصالون مرهقة وما ان جلست في احد المقاعد ، حتى هرعت ايما اليها واعتلت حضنها ، فضمتها بيدين محبتين الى صدرها المفعم حنانا .

بادرت الطفلة تقول وقد غلبت عليها مسحة من الكآبة :

- اتمنى لو تغادرنا الآنسة لوسن . الا يساورك امي ، احساس بهذا انت

ايضا ؟

تنهدت جولي ، ترد على ابنتها :

ـ انها مربية ليس الا ، ايما . لن يبدل وجودها معنا اي شيء .

ـ بل سيكون علي ان ادرس على يدها .

علقت جولي قائلة :

ـ نعم . الا انك ، عاجلا او آجلا ، ستفعلين هذا ، متى اصبحت في سن تؤهلك للذهاب الى المدرسة . اني اعدك ، بأن شيئا لن يتغير وستمارسين هواياتك اليومية التي تريدين متى اتممت دروسك .

قبل ان تنتهي جولي من ارتداء ملابسها استعدادا للعشاء ، كانت ايما قد استسلمت الى نوم هانىء . ولم تذكر لها جولي شيئا عن دعوة فرنسيس لها الى العشاء ، لكي تتحاشى اسئلتها . لكنها اوصت السيدة هادسون بوجوب اطلاعها على حقيقة الأمر ان هي افاقت . وبدأت تشعر بالقلق .

لبست جولي ثوبا عاديا لونه بهيج ، ذا ياقة مستديرة تكشف العنق . بدت فيه رشيقة القامة ، رقيقة الخصر ، وقد زاد الثوب من جمالها وجاذبيتها .

وصل فرنسيس بعد السابعة بقليل ، واذ لاحظ جمالها ومظهرها المميزين بادر يبدي اعجابه في كلمات من الغزل الرقيق ثم استدرك قائلا :

ـ الا انك دائمة الجمال .

وسرت جولي لاطرائه اياها .

ثم خرجا الى مطعم في البلدة ، حيث تناولا طعام العشاء . وبدت جولي مرتبكة الى حد ما كلما اقترب احدهم ، وكانوا كثرا ، ليتحدث الى فرنسيس ، وعيونهم تحدج جولي بحشرية واضحة .

قال بلطف يخفف عنها :

ـ ما لك تبدين مرتبكة ؟ نظراتهم نحوك تشعرني باحساس لذيذ ، بعدما ظننت ان رجلا في مثل سني فارقته هذه الأحاسيس .

اعترضت جولي ، وهي تضحك :

ـ لكنك لست كهلا .

اوما يعترف :

ـ اني في الثامنة والأربعين (وأردف يسأل نفسه) اما انت فكم عمرك ؟

خمس وعشرون ؟ ست وعشرون ؟ اني اكبرك بنحو عشرين سنة . في الواقع ، انا في سن والدك .

مدت جولي يدها ووضعتها على يده ، وقالت :

ـ العمر مسألة نسبية ، انت لا تبدو متقدما في السن ، كما انك لا تتصرف تصرّف واحد منهم . فلماذا توحي الى نفسك غير ذلك ؟ ثم انك لا تختلف في هذا الاحساس عن اي شخص آخر . انا مثلا ؟ اني اتصرف احيانا وانا اعيش ظروفا معينة كأني عجوز بائسة .

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي فرنسيس وقال :

ـ كما سبق وقلت ، انت مناسبة جدا لشخص مثلي .

رقصا خلال تلك السهرة على انغام موسيقى حالمة ، وشعرت جولي بارتياح وهي بين ذراعيه وأدركتها عاطفة قوية حياله . وبمجرد ادراكها هذا الاحساس بعث فيها الدفء . لم تكن مغرمة به ، غير ان علاقتهما كان لها طابع مميز هي في حاجة اليه .

ما ان ولجت باب الدار حتى انطلق بسيارته مبتعدا . كانت الأنوار في الصالون مضاءة ، واعتقدت ان السيدة هادسون لا تزال تشاهد فيلما تلفزيونيا . فتحت باب الصالون ، وانسلت بهدوء كي لا تفاجأ الخادمة بدخولها في حال كانت تغط في نومها . فجأة شهقت للمفاجأة غير المتوقعة . كان روبرت ممددا بكسل على الكنبة يغط في نوم عميق . وبدا المكان هادئا مريحا .

* * *

حدقت جولي فترة طويلة في وجهه المتعب وقسماته المسترخية في آن . كان واضحاً من محجري عينيه انه لم ينم كفاية خلال سفرته ، وبدا مرهقاً .

الا انه وقد اخذ يشعر بوجودها وهي تمعن النظر اليه ، فتح عينيه فجأة ، يطرفهما بكسل . جمدت جولي في مكانها فيما نظراته تتبين حضورها بدءاً من اسفل قامتها الى ان استقرت على وجهها .

هتف قائلاً وهو لا يزال اعشى العينين :

- جولي! (لم يكن في يقظة تامة بعد. تحامل على نفسه واتكأ على مرفقه، عابساً، يحاول ان يعي ما حوله. ثم تأوه متألماً) يا الهي، رأسي!

وارتد ثانية يلقي رأسه على الوسادات خلفه.

جلست جولي على حافة الكنبة، وقد داخلها القلق، ووضعت راحتها على جبينه وشعرت بارتفاع حرارته الا انه امسك بيدها وانزلها الى خده، ولامس راحتها فارتعشت تحت قبضته. كانت عيناه شبه مغمضتين، وبدا لا يزال ناعساً. وتأكد لها انه لم يكن يعي ما يقوم به.

- روبرت.

قالت معترضة، وحاولت ان تسحب يدها من قبضته. الا انه تطاول اليها وشدها نحوه يحاول ضمها الى صدره. غير ان وهنه كان فرصة لها لتفلت ثم تبتعد. بينما هو بقي ممدداً يراقبها ترد خصلات من شعرها انسدلت على جبينها. بدا لها منظره مخيفاً.

سألها بصوت اجش:

- ماذا بك؟ هل تأخرت عنك الليلة؟ هل كان فرنسيس في المستوى الذي يرضيك؟

افلتت شهقة من فم جولي. ثم تناولت وسادة، والغضب يهز كيانها، ورمته بها، واتبعتها بكتاب، وهي تصرخ فيه:

- كيف تجرؤ على التفوه باشياء كهذه؟

- وماذا يفترض في ان افكر والحال هذه؟ (رماها بنظرة قاتمة وهو يضيف) لماذا بحق السماء، لماذا، خرجت معه ثانية؟ ما الذي تحاولين ان تفعلي بي؟

تلاحقت انفاسها بسرعة. وسألته مشدوهة:

- لك انت؟

- نعم. لي انا، جولي. الا تدركين ان مجرد وجودك مع رجل آخر... (واختنق صوته) هل انت مغرمة به؟

وضعت راحتيها على خديها، تستغرب سؤاله:

- كلا، طبعاً.

- ليس اكثر مما احببت مايكل (غمغم بصوت قاس) يا الهي، جولي. لقد فعلت حسناً بسفرك ومايكل الى مالايا قبل عودتي من فنزويلا، والا لكنت قتلتكما! (ضغط على مقدم رأسه متألماً) آه، هل لديك اي شيء

يخفف من صداعي هذا؟ احس كأنه يكاد ينشطر نصفين!

عندما عادت ثانية الى الغرفة، وفي يدها علبة الاسبيرين وفي الاخرى كوب ماء، وجدت روبرت مستلقياً ثانية على الكنبة. وضعت ما في يديها على طاولة قريبة وجلست قربه تتفحصه بنظراتها، ثم سألته:

- منذ متى لم تنم ملء جفنيك؟

- لا اذكر... يومين... ربما ثلاثة ايام.

- لكن، لماذا؟ الم يكن في استطاعتك ان تنظم اوقاتك في شكل افضل يسمح لك بالراحة؟

سألها بصوت اجش ومتهدج في آن:

- ما الفائدة في الذهاب الى السرير والبقاء فيه قلقاً، اتقلب يمنة فيسرى وبالعكس لساعات طوال فلا استطيع الاغفاء؟

- لا معنى لكلامك هذا! فانت تكاد تنهار.

قال لها بصوت لا يخلو من تهكم:

- آسف ان اكون مصدر ازعاج لك، هذه الليلة.

- لست مصدر ازعاج اطلاقاً! لكن، ما الذي دفعك الى ان تأتي الى هنا، روبرت؟

اغمض عينيه، واجاب:

- اردت رؤيتك. لقد قال لي هاليبرد انك اتصلت هذا الصباح بغية التحدث الى والدتي ولم تكن موجودة. قلت لنفسي لا بد ان يكون هناك امر عاجل دفعك للاتصال بها.

- آه، فهمت الدافع الآن.

- هل كان اتصالك لأمر مهم؟

- كلا. اردت التحدث معها في شأن ساندرا لوسن. افترض انك على علم بوجودها هنا.

اومأ ايجاباً من دون ان يعلق على المسألة اول الامر. اما هي فوضعت يداً على فمها، وقد تنبهت لما يمكن ان تشكله معرفة ساندرا بخروجها، وقالت متسائلة:

- اظن انها علمت هي الاخرى بخروجي مع فرنسيس.

اشاح روبرت بوجهه واغمض عينيه ثانية:

- كلا. لم تعلم بالامر. وصلتُ نحو التاسعة والنصف وكان هناك متسع من الوقت لاتحدث مع السيدة هادسون قبل ان تعود ساندرا.

سألته جولي، عابسة:

- وباميلا؟

- وماذا عن باميلا؟

استوضحها من دون اكتراث لذكر اسمها

- كانت ساندرا تتناول طعام العشاء عند باميلا. الم ترها مع ساندرا لدى عودة هذه؟

- كلا.

بدت جولي في حركات يديها كمن غلب على امره، وقد استعصى عليها فهم الحقيقة، وسألته:

- لكن، الا تظن ان ساندرا يمكن ان تفسر وجودك هنا على غير حقيقته؟

اجابها غير مكترث لملاحظتها:

- غالب الظن، نعم. الا انها اذكى من ان تعترض بأي شكل من الاشكال.

تنهدت جولي تسأله ثانية:

- وماذا قالت ساندرا حين رأتك هنا؟

- مرحباً.

- انك تتعمد الظهور مظهر الجاهل!

ارادت ان تبتعد، الا انه امسك بيدها، وشبك اصابع يده باصابعها، فبقيت حيث هي مترددة.

- كلا، لست اتعمد ذلك، كل ما في الامر اني لا اريد التحدث عن باميلا الآن.

- هل قلت لساندرا اين كنت؟

- كلا، لم اذكر لها شيئاً عن هذا. الا ان السيدة هادسون اوضحت لها انك خرجت لفترة من الوقت. هذا، الى ان ساندرا فوجئت لرؤيتي هنا، فسها عن بالها كل حضور آخر.

- لا ألومها ان هي كانت مندهشة الى هذه الدرجة (تنفست ملء رئتيها، ثم استطردت تقول بلهجة جازمة) انك الآن في حال لا تسمح لك بالعودة

الى شقتك. فانت لا تستطيع قيادة السيارة، وما عليك الا ان تبيت الليلة هنا.

- اين؟ في غرفتك؟

- نعم، في غرفتي... هل تقوى على الصعود بمفردك الى الطبقة العلوية؟

حدجها بنظرة غريبة مبهمة قائلاً:

- لست عاجزاً، كما يتبادر الى ذهنك.

- اعرف ذلك.

ومشت في اتجاه الباب، ثم التفتت نحوه، ورأته ينهض متثاقلاً عن الكنبة، ثم يتمطى قليلاً. تركت الغرفة وصعدت درجات السلم من دون ان تلتفت وراءها ثانية.

دخلت غرفتها. نزعت غطاء السرير وطوته. ثم سحبت ثوب النوم من تحت وسادتها. في هذه اللحظة، ظهر روبرت عند عتبة الغرفة اسند ظهره الى الباب، وبدا اصفر الوجه منهكاً على رغم مظهر قوته.

سألته، وهي تبتعد عن السرير:

- اتعرف اين غرفة الحمام؟ هل تحتاج الى شيء آخر؟

غمغم بصوت اجش:

- انت فقط. تعالي الى هنا.

- لا وقت لهذا الآن (وتحاشت جولي يده الممدودة نحوها، واستطاعت الوصول الى الباب. التفتت نحوه قبل ان تخرج) والآن، اصعد الى السرير ونم هنيئاً.

شرع يفك ازرار قميصه بكسل. وخرجت هي بسرعة واغلقت الباب خلفها. تنفست عميقاً وسارت في اتجاه غرفة ايما.

كانت الطفلة تغط في نوم عميق. انسلت جولي الى الغرفة في هدوء لبست ثوب النوم وازاحت طفلتها قليلاً ليتسنى لها ان تندس الى جانبها.

- امي؟

تمتمت ايما وهي في شبه اغفاءة، ويداها تتلمسان وجه والدتها.

امسكت جولي بيدي ابنتها وشدت عليهما تطمئنها في هدوء:

- هذه انا. عودي الى نومك!

استغرقت جولي في نومها حتى ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي. كذلك فعلت ايما. اذ بدا ان هذه نعمت بوهج من الدفء لوجود جولي الى جانبها، فنامت قريرة.

افاقت جولي على حركة ابنتها تضج نشاطاً وحيوية. ابتسمت لها وهي لا تزال مغمضة العينين، ووجه الطفلة تغمره الدهشة والتساؤل.

- لماذا انت نائمة معي، امي؟

تمطت جولي وهي لا تزال ممددة وسألتها:

- هل من مانع لديك؟

- كلا. لكن لماذا انت هنا؟

نهضت جولي من السرير، تتطلع بعجب الى ساعة يدها، وكانت تخطت العاشرة، واجابت:

- لأن هناك شخصاً آخر ينام في سريري.

- من هو؟

بدا الانفعال في سؤال ايما.

اجابت جولي وهي تتثاءب:

- عمك روبرت.

ثم توجهت نحو غرفة الحمام. وعندما خرجت منه كانت ايما قد اختفت.

تنهدت جولي وهي تضع عليها رداء المنزل. لم يكن لديها ادنى شك في المكان الذي يمكن ان تكون ايما ذهبت اليه. وتمنت لو تستطيع اللحاق بها لمنعها من ايقاظ روبرت في ما لو كان لا يزال نائماً.

كان منظره، ممدداً في هدوء وارتياح، مبعث الم في نفسها. وراودتها نفسها في الدخول الى الغرفة. لكنها، اذ تذكرت احداث اليوم الفائت، عادت ادراجها. واوصدت الباب بهدوء.

كانت ايما في المطبخ مع السيدة هادسون. وبدت هذه متكدرة، تتمتم همساً بكلمات مبهمة وهي تحضر صينية افطار.

قطبت جولي، وبادرتها:

- ماذا في الامر؟

التفتت السيدة هادسون نحوها وفي عينيها استسلام، واجابت:

- انها الآنسة لوسن. نزلت فجأة الى هنا، منذ نصف ساعة تطلب ايضاحاً عن سبب التأخر في تحضير الترويقة. اجبتها انك لم تستيقظي بعد، نظراً الى تأخرك الليلة الفائتة... (وتنهدت قبل ان تضيف) مختصر القول انها تريد افطاراً جيداً، وعلي بالتالي ان آخذ لها طبقاً من الرقائق، وبيضاً مقلياً، خبزاً وقهوة!

- اذن، هذا ما يضايقك (ورمقت ابنتها بنظرة سائلة، ثم قالت تستوضحها) هل دخلت غرفة عمك؟

اطرقت ايما هنيهة، ثم اجابت:

- نعم. لكنه كان لا يزال نائماً. فعدت الى الخارج. هل ايقظته بدخولي الغرفة؟

- كلا، لحسن الحظ.

ثم انتبهت جولي الى ان السيدة هادسون كانت تحدق فيها بدهشة لا تحفظ فيها.

وسألتها الخادمة:

هل بات السيد روبرت ليلته هنا؟

تلون وجه جولي:

- نعم. لقد كان مرهقاً. وكان نائماً حين عدت الى المنزل.

هزت السيدة هادسون برأسها، وقالت:

- نعم. اعرف هذا. لقد عاد الى لندن نحو السابعة والنصف مساء. وبعد ان عرج على شقته حضر الى هنا.

قالت جولي وهي تحكم رباط ردائها الازرق حول خصرها:

- اظن انك فوجئت برؤيته.

- نعم، سيدتي، كما اني سررت لوجوده، اذ كان رفيق سهرتي، اذا صح القول. قال لي، بعد ان اوت الآنسة لوسن الى فراشها، انه سينتظر عودتك (وتفحصت وجه جولي) ارجو الا تكوني تضايقت كوني ذهبت الى النوم وتركته هنا وحيداً؟

- كلا، طبعاً.

ابتسمت للخادمة، واحست هذه بالاطمئنان.

بعد ان انهت السيدة هادسون وضع طبق الافطار الذي كانت طلبته منها

ساندرا، حملت الصينية، قائلة:

- سآخذها الى غرفتها.

قطبت جولي، معترضة:

- تقصدين انها عادت ثانية الى سريرها؟

- لست ادري ان هي هكذا فعلت، سيدتي. لكنها قالت انها ستكون في غرفتها.

- هات الصينية. ساناولها اياها وانا في طريقي الى غرفتي لارتدي ثيابي.

حبذت ايما الفكرة فاومأت برأسها مؤيدة. واخذت جولي الصينية بعزم من يدي الخادمة. فتحت الباب وعادت الى الطبقة العلوية.

وكما توقعت، كانت ساندرا لوسن في ثيابها، تجلس الى طاولة تكتب رسالة. وفوجئت هذه لدى رؤيتها جولي تدخل الغرفة.

بادرت بالقول، وهي تفسح مكانا على الطاولة لتضع جولي الصينية:

- شكرا جزيلا. كان في امكان السيدة هادسون ان تحضرها.

ردت عليها جولي بنبرة جافة:

- ليس من عادة السيدة هادسون أو من ضمن عملها ان تؤمن الخدمة الى الغرف. وصادف اني كنت آتية الى هنا...

- في اي حال، شكرا، سيدة بمبرتون.

بدت ابتسامتها خلوا من اي تعبير صادق.

قبل ان تخطو جولي خارج الغرفة، بادرتها ساندرا بالسؤال:

- في المناسبة، هل كنت تعلمين ان السيد بمبرتون قادم الى هنا الليلة الفائتة؟

- روبرت؟ (دست جولي يديها في جيبي ردائها) كلا، لم اكن على علم بذلك؟

- لم اسمع صوت محرك سيارته ساعة غادر. هل كان لا يزال هنا لدى عودتك؟

امسكت جولي مقبض الباب، واجابت:

- نعم (واضافت) في الواقع، بات ليلته هنا!

ثم خرجت توصد الباب باحكام، تاركة لساندرا ان تستنتج من جوابها ما تشاء.

عندما خرج روبرت من غرفة جولي، كانت ساندرا ذهبت تتنزه في البلدة، بينما فضلت ايما اللعب في الحديقة حيث بصمات الصقيع كانت لا تزال عالقة. اما جولي فكانت في المطبخ تساعد السيدة هادسون في تنقية الخضر تحضيرا لوجبة الغداء. كانت الساعة تقارب الثانية عشرة ظهرا.

فتح الباب ودخل. بدا من قسماته انه نام جيدا، واختفت علامات الأرق والتعب التي وسمت وجهه الليلة المنصرمة. بادر جولي بنظرة قاسية لم تكن تتوقعها. ثم التفت الى الخادمة يسألها:

- هل فات الأوان لأن اتوسل من اجل فنجان قهوة؟

جففت السيدة هادسون يديها وهي تجيبه:

- كلا. بالتأكيد... اراك تبدو احسن حالا اليوم.

- نعم. اشعر بذلك (وعاد ينظر ثانية الى جولي. ثم بادرها محييا) صباح الخير، جولي.

اجابته متمتمة:

- صباح الخير.

اومأ برأسه شاكرا السيدة هادسون وقفل خارجا من المطبخ. وأحست جولي بأنفاسها تتلاحق بسرعة.

حضرت السيدة هادسون صينية صغيرة عليها بضعة فناجين، ابريق قهوة، حليب وسكر، اضافة الى كعك طازج. وما ان فرغت من امرها حتى بادرتها جولي:

- هل ستحملينها اليه، ام تفضلين ان اقوم بهذا عنك؟

- اذهبي انت بها. لا لزوم لأن تنكري رغبتك في هذا.

كان روبرت يقف قرب النافذة في الصالون، في بذلته الرمادية. وكانت لحيته غير الحليقة دليلا على انه لم يبت ليلته في شقته. وعلى رغم هذا بدا لا يدانى في جاذبيته. لدى سماعه وقع اقدامها، التفت نحوها، قائلا:

- شكرا (واضاف) سأغادر حالما انهي افطاري.

وضعت جولي الصينية على الطاولة:

- اتريدني ان اسكب لك؟

لم يبد اعتراضا، وقال:

- اذا اردت .
جلست جولي على حافة الكنبة ، وبدات في صب القهوة . ثم ناولته فنجانه . وقربت منه علبة السكر . وضع حبة في فنجانه ورشف قليلا .
- يجدر بي ، على ما اعتقد ، ان اعتذر عن ازعاجي لك .
نهضت جولي من مكانها . وأجابت :
- اي ازعاج هذا ؟ (ثم اردفت) انا التي عرضت عليك ان تبيت هنا (ورفعت نظرها نحوه تسأله) هل نمت جيدا ؟
- انت تعلمين اني نمت جيدا .
- هذا جيد .
- اين نمت انت ؟
- مع ايما .
- علي الآن ان اذهب . اعتذر ثانية عن الازعاج الذي سببته لك .
- لكنك لم تكن مصدر ازعاج !
في هذه اللحظة دخلت ايما الغرفة عدوا وهي تهتف بانفعال :
- عمي روبرت ! عمي روبرت ! (وقفزت الى ذراعيه . ثم سألته عاقدة الحاجبين) لا اظن انك مغادرنا ؟
- بلى . علي ان اذهب .
- لكن ، لماذا ؟ (ونظرت الى امها) لماذا ، امي ؟ هل عليه ان يذهب ، حقا ؟
- نعم ، حبيبتي .
وبدا صوت جولي متقطعا .
ضم روبرت الطفلة اليه ، وقال لها :
- سأعود قريبا لزيارتك ثانية .
تكوّر فم الطفلة ، وقالت بصوت متوسل :
- اوه ، عمي . ارجوك ان تبقى . لقد كنت في غرفتك هذا الصباح . الا ان امي لم تدعني اوقظك . . . وها انت الآن ذاهب !
اجابها بجدية قائلا :
- اني متأكد ، بوجود الآنسة لوسن هنا ، ان . . .
- دعني من الآنسة لوسن . فأنا لا احبها !

فجأة ، عضت ايما على شفتها وانسلت من بين يدي روبرت . وأدركت جولي للحال ان الآنسة لوسن كانت تقف صامتة عند باب الغرفة تراقبهم . وعندما لاحظ روبرت وجودها ، تكلف القول :
- عمت صباحا ، آنسة لوسن .
بدا وجه ساندرا لوسن بارد التعابير ، اذ هي سمعت ما كان يدور من حديث ، لا سيما ما قالته ايما ، الا انها ، على ما يبدو ، صممت على تجاهل الأمر وأجابت :
- صباح الخير ، سيد بمبرتون . كنت في نزهة في القرية . وعلى رغم ان الطقس بارد ، غير انه منعش يبعث النشاط .
ابتسم روبرت مجاملا :
- لا شك انه كذلك .
ردت عليه بابتسامة وحولت نظرها ناحية الطفلة :
- ماذا كنت تفعلين ، ايما ، في اثناء غيابي ؟
بدت علامات الرفض على وجه ايما وهي تجيب :
- لا شيء .
ولاحظت جولي ، لأول مرة ، ان ابنتها لم يسبق لها ان كانت في حال ثورة مشابهة . كانت الطفلة تنظر الى روبرت في استسلام وتوسل . ولمعت دمعتان علقتا بين رموشها :
- ارجوك ، عمي روبرت ، لا تذهب .
تردد روبرت لحظة ، وهو يرمق جولي بألم . فبدرت منها حركة عفوية ، وسألته :
- ابق ، اذا كنت ترغب في ذلك !
- نعم . لم لا تبقى ؟ (رددت ساندرا ، وأضافت) في الواقع ، كنت اتصور بقاءك ، لذا اتصلت بباميلا بينما انا في الخارج ، وسألتها ان تأتي .
بدرت شهقة غيظ من جولي :
- ماذا فعلت !
- هدئي من روعك ، جولي ! (علق روبرت وبدا غير مهتم للخبر . ثم التفت الى ساندرا يسألها) هل اخبرت باميلا اني هنا ؟
تظاهرت ساندرا بالخجل :

- كلا . ليس هذا ما قصدته ، كل ما في الأمر اني تصورت وجودك هنا سيكون مفاجأة سارة لباميلا .

مسح روبرت دمعة عن وجنة ايما ، وابتسامة غريبة ترتسم على وجهه وقال بنبرة مهذبة :

- استطيع القول انك تصورت انك بعملك هذا يمكن ان تقلقي بالها ؟

احتقن وجه ساندرا ، وقالت تبرر تصرفها :

- باميلا صديقتي . وقد قمت بما اعتقد انه الأفضل .

- الأفضل لمن ؟ لباميلا ؟ ام لك ؟

- ماذا تقصد ؟

حدق فيها روبرت بعينين ثاقبتين :

- بئس عقل كالذي لك ، آنسة لوسن . هل تتصورين فعلا ، ان مجيء باميلا ، وانا هنا ، سيؤدي الى سوء تفاهم ، ولو بسيط ، بيني وبينها ؟

- اني متأكدة . . .

- كلا ، آنسة لوسن . لن يكون خلاف بيننا . فهي ليست كما يتهيأ لك . انها تبغي الزواج بي لأني الرجل المناسب تماما لها ، اجتماعيا وماديا على حد سواء . علما انه قد يكون في بعض تصرفاتي ، بين حين وآخر ، ما يضايقها ، الا ان كل ما حققته باتصالك بها ودعوتها الى هنا ، هو اذلالها . أوتظنين انها ستكون شاكرة لك صنيعك ؟

هتفت ساندرا بصوت مرتفع تدافع عما اقدمت عليه :

- كيف يمكنك والحال هذه ان تقر بتصرف كهذا ؟

- اني لا اقر بشيء ، اذ لا شيء لدي اعترف به . كذلك الحال بالنسبة الى السيدة بمبرتون .

- ما الأمر ، عمي ؟

سألت ايما ، يكاد ينفد صبرها .

- لا شيء ، صغيرتي (نظر اليها بحنان) اذهبي ، وبدلي ثيابك . سألحق بك بعد خمس دقائق . سنلعب معا لعبة « الأميرة والمارد » .

- رائع !

وهرولت الطفلة الى خارج الغرفة واستدار روبرت ثانية نحو المربية .

- والآن ، ما رأيك ؟

بدت ساندرا متضايقة ، ورمت جولي بنظرة خبيثة :

- لقد فات الأوان لأن اغير مجرى الأمور .

اجابها روبرت بصوت يترجم قساوة تعابير وجهه :

- يجب الا تعرف باميلا ساعة وصولي الى هنا . فهي لا تنتظر عودتي مبدئيا قبل هذا المساء . واذا ما تساءلت ، ان هي حضرت ورأتني ، عن ساعة قدومي فتفسير ذلك ببساطة ، اني عرجت الى هنا منذ فترة وجيزة .

صرخت ساندرا في غضب :

- أأنت تدعوني في هذه الحال الى ان اكون شريكة لك في سرك ؟

- بالعكس . المطلوب منك ان تنقذي باميلا من موقف محرج .

- وماذا ان هي لم تعر اهتماما لكونك بت ليلتك هنا ؟

- لكنك قصدت من وراء اتصالك بها ودعوتها الى هنا ان تجدني في المنزل . وبالتالي افسحت المجال واسعا لشكوكها . أوتظنين انها ستغفر لك ما يمكن ان تسببيه لها ؟

- انك . . . حقير فعلاً !

- بل انا رجل عملي (واضاف يسألها) هل اتفقنا اذن ؟

- حسنا . لن اقول شيئا ، لكني لن انسى هذا ابدا .

- لن انساه انا كذلك .

رد عليها جازما ، وخرج يبحث عن ايما .

كانت ساندرا ، تلك اللحظة ، ترقبها بعينين تتلظيان . ثم بادرتها بالقول :

- اظن ان الذي جرى ، جله لمصلحتك ، اليس كذلك ؟

رفعت جولي عينين متعبتين :

- لماذا ؟

- هذه المسرحية ! هذا الادعاء بوصوله من الولايات المتحدة ، منذ لحظات ! انه ليس مهتما بموقف باميلا من الموضوع او مكترثا لصداقتي لها !

٥ ـ كوة في جدار الزمن

في الأيام القليلة التي تلت ، بدأت ايما دروسها مع ساندرا . وكانت هذه احضرت معها بضعة كتب للتمارين المدرسية وقرطاسية تكفي ايما لمدة اسبوعين تقريبا . وهي كانت اطلعت جولي على عزمها طلب كمية اخرى من لندن ، في حال اظهرت ايما تقدما ملموسا .

الا ان الطفلة بدت متعثرة في دروسها . ولم يكن هذا مستغربا . هذا ، الى انها تحولت خلال فترة قصيرة من طفلة هادئة ، حسنة الطبع الى اخرى عصبية المزاج دائمة البكاء ، الى درجة اضطرت جولي معها احيانا الى توبيخها .

بعد ظهر ذات يوم ، قالت جولي تستطلع رأي السيدة هادسون في سبب تغير طباع ايما :

ـ لا استطيع فهم هذا التغير المفاجىء . علما انها كانت تبدي رغبة اكيدة في الذهاب الى المدرسة .

ـ ان تتعلم على يد مربية ليس نفس الشيء كما لو انها في مدرسة . فهي ، هنا ، لا اصدقاء لها . كما لم تسنح لها فرصة الاختلاط بأولاد اخرين ، وهي بالتالي تشعر بالوحدة . وهي تدرك انه ما دامت الآنسة لوسن هنا ، فهي لا محالة باقية على هذه الحال .

ـ لكن روبرت يرفض ان يبحث في خيار آخر .

وبدت جولي ساخطة . فهي الآن قلقة على ابنتها فضلا عن همومها الشخصية .

ـ وما هو رأي السيدة بمبرتون ؟

ـ اوه ، لا يمكن ان توافقني في امر ما ابدا ! هذا ، الى ان ساندرا صديقة العائلة .

ـ ماذا ستفعلين اذن ، لتدارك الأمر قبل ان يستفحل ؟

ـ في الحقيقة ، لا ادري .

ـ ماذا عن السيد هيلينغدون ؟ اليس في امكانه ان يفاتح روبرت في الموضوع؟ قد يصغي هذا اليه .

ابتسمت جولي :

ـ اشك في امكان ذلك ، كثيرا .

ـ لست ادري فعلا ما الذي يمكن ان تفعليه حيال هذا الواقع الا ان شيئا ما يجب القيام به . فالطفلة في بكاء شبه مستمر .

ـ اعلم هذا. الذي يزيد من واقع المأساة ان ساندرا لا تكف عن الشكوى من ان ايما تتصرف بقلة تهذيب في اوان الدرس. اني متأكدة انها تود لو تصفعها احياناً لهذا.

علقت السيدة هادسون بنبرة تنم عن كره حيال ساندرا:

ـ كما اني اعتقد ان الشعور متبادل بينهما.

ـ اني اكيدة من ذلك (ردت جولي خصلة من شعرها الى خلف اذنها واضافت) حسناً. سأتصل بفرنسيس، لأبحث معه في الموضوع.

اتصلت به هاتفياً في مكتبه. وبدا فرنسيس مغتبطاً، على عادته، لسماعها. وبادرها:

ـ متى اراك ثانية؟

ـ في الواقع، اني في حاجة الى مساعدتك، فرنسيس.

ـ مساعدتي؟ في اي موضوع؟

ـ اريد منك ان تبحث مع روبرت في مسألة. . . ان تسأله اذا كان ممكناً ان يعيد تقويم قراره في شأن ارسال ايما الى مدرسة. فهي ترغب في الذهاب الى مدرسة البلدة. انها، ببساطة، لا تريد ان تدرس على يد مدرسة خاصة، علماً ان ساندرا تظهر قدراً كبيراً من الصبر والأناة حيالها.

ـ هذه هي المشكلة، اذن. اتريدينني ان احضر شخصياً وابحث مع ايما في المسألة؟

ـ لا اعتقد ان هذا سيغير من الواقع في شيء. طبعاً، ستسر برؤيتك.

لكن، ما ان تتركها وتغادرنا. . .

اجاب فرنسيس، وقد ادرك عمق المسألة:

ـ حق ما تقولين. الا انه يجدر بي ان الفتك الى اني وروبرت لسنا على اتم وفاق هذه الأيام. لقد ألمح لي ببعض الملاحظات القاسية، لدى زيارته لنا الأحد الماضي.

ـ عم كانت ملاحظاته؟

ـ عنك، طبعاً. لقد طلب مني ان ادعك وشأنك. . . وانه لا يجد علاقتي معك مبررة. وانه لن يقف مكتوفاً حيال هذا، ويتركك تهدمين حياتك، الخ. . .

ـ اوه. اني آسفة، ان كنت سبباً في ما حصل بينك وبينه.

ـ لا اخفي عليك، اني كنت ساخطاً بادىء الأمر لملاحظاته هذه. الا اني ادركت في ما بعد انه كان يبغي مصلحتك. وبدا لي انه يحس بمسؤولية كبرى حيالك ملقاة على عاتقه. . . انتما الاثنتين. لا ادري كيف سيصمد زواجه وباميلا بازاء هذه الحقيقة.

ـ ماذا تقصد؟

ـ الحقيقة، اني لو لم اكن اعرفه جيداً، لقلت ان التزامه حيالك هو اندفاع الى ابعد من مجرد واجب اخلاقي. لكن هذا من السخافة بمكان. اليس كذلك؟

ـ نعم. (ومع هذا وجدت صعوبة في التركيز على الموضوع الذي من اجله اتصلت به) لكن. . . قل لي، هل ستبحث معه في موضوع ايما؟

تردد فرنسيس لحظة قبل ان يجيب:

ـ اذا كان هذا ما تريدين. . .

ـ بالطبع ، هذا ما اريده.

ـ حسناً. انه قادم غداً الى الغداء عندنا. ساحاول ان اكلمه في الموضوع.

ـ شكراً لك، فرنسيس، شكراً.

ـ لا تشكريني الآن، فانا لم احقق شيئاً بعد.

بدت السيدة هادسون راضية عندما اخبرتها جولي بما دار بينها وبين فرنسيس، وعلقت قائلة:

ـ اذا كنت لا تدرين، فان للسيد هيلينغدون طرقاً في الاقناع.

ابتسمت جولي وهي تقول:

ـ نعم. لكن يبدو ان روبرت اخذ عليه دعوته اياي الى العشاء خارجاً في نهاية الأسبوع الفائت. وهما لهذا ليسا على وفاق تام.

رفعت الخادمة حاجبيها:

ـ احقاً ما تقولين؟ (ثم ابتسمت وهي تتمتم) لا بأس، لا بأس.

هزت الخادمة رأسها وهي تزن كمية من الطحين تحضيراً لصنع قالب من الحلوى، وقالت:

ـ ليس هذا من شأني، سيدة بمبرتون.

ـ كيف يمكنك ان تقولي هذا، وقد علقت منذ لحظة على الموضوع؟ (اعتلت جولي كرسياً ثم اردفت) آه، لو يقبل روبرت، فقط، بأن تذهب ايما الى المدرسة، فتكوّن صداقات مع اطفال اخرين. . .

ـ والمربية التي استقدمتها ستصير خارج المنزل!

ـ هذا بديهي. لا استطيع ان افهم سلوك ايما هذا. من عادتها ان تكون حسنة الطبع والسلوك.

افرغت السيدة هادسون الطحين في وعاء صغير، قبل ان تقول:

ـ اعتقد ان الاهتمام الزائد بها والدلال من قبل جدتها والسيدين روبرت وهيلينغدون جعلاها تركب رأسها. ثم انها طفلة في الخامسة من عمرها فقط، تصوري المتغيرات التي كان عليها ان تتكيف معها خلال هذه الأشهر القليلة الأخيرة!

ـ هل تعتقدين، اذن، انها مدللة كثيراً؟

ـ رعاك الله. ليست الحقيقة شيئاً من هذا. من حقها ان تكون مدللة الى حد ما. هذا اذا ما سئلت في الموضوع. انها تحاول ان تجد لنفسها موطىء قدم في عالم يكثر فيه الناس حولها.

ـ هل تعتقدين ان هذا هو السبب الذي يجعلها فرحة في كل مرة يأتي روبرت الى هنا؟

ـ لا اعتقد ان هذا هو كل ما في الأمر. انها طبعاً ترى في روبرت الأمان، لكن المسألة ابعد من هذا، على ما اعتقد. اذ ان الطفلة متعلقة به كثيراً. فهي تتحدث عنه في شكل مستمر. كذلك تتحدث عن السيد هيلينغدون،

الا ان السيد روبرت هو الانسان المصطفى لديها.

وضعت جولي راحتيها على خديها وقد احست بدمعتين حارقتين في مقلتيها.

اردفت السيدة هادسون قائلة:

- انه اهل لأن يكون كذلك.

كان صوتها خافتاً الى درجة لم تسمعه جولي بوضوح.

وسألتها:

- ماذا قلت؟

تخضب وجه السيدة هادسون:

- قلت... انه المفضل لديها. الا تعتقدين ذلك؟

- لماذا؟

- حسناً. كونه اخ السيد مايكل، ويشبهه كثيراً.

- آه، فهمت ما ترمين اليه.

- ماذا ظننت اني قصدت بقولي غير هذا؟

رفعت جولي كتفيها تفتش عن جواب:

- لماذا؟ ... لا شيء.

مسحت السيدة هادسون الطحين عن يديها بطرف مريولتها، وقالت:

- لو انك كنت تزوجت السيد روبرت، سيدتي، لكان هو والد ابنها.

حدقت فيها جولي واجابتها في اقتضاب:

- لم يكن هذا ممكناً.

- صحيح. لانك رفضت الزواج به قبل سفره الى فنزويلا، اليس كذلك؟

- وكيف عرفت هذا؟

- السيد روبرت نفسه اخبرني. كنا نتحدث، تلك الليلة التي بات فيها هنا، عن تلك الأيام التي كان يكثر فيها من اسفاره.

- وماذا اخبرك ايضاً غير ذلك؟

- لا شيء يذكر، سوى انك كنت ثائرة يومها على قراره في السفر.

- كان ذلك امراً بديهياً.

- كان في امكانك ان تسافري معه، بعد زواجكما.

احست جولي بالصقيع يغلف قلبها:

- اعرف ذلك. الا اننا تجادلنا تلك الليلة...

- والسبب اضطراره آنئذ الى السفر قبل اسبوع من موعد زفافكما؟

- نعم. اوه. اني ادرك ان الأمر يبدو الآن سخيفاً. غير انه في ذلك الوقت كانت مسألة مبدأ كنت في التاسعة عشرة من عمري.

اضافت السيدة هادسون كمية من السكر الى الطحين في الوعاء. وسألتها تستزيد:

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- ما نفع استذكار هذا كله الآن؟ فليس في الامكان تبديل ما كان.

- اخبريني كيف تعرفت اليه؟

- كنت اعمل في الشركة خاصتهم... في الواقع، مديري هو الذي عرفني اليه. كنت قد سمعت عنه قبل ذلك، ذلك ان شهرته كانت في كل مكتب من الشركة.

- اكملي.

- اوه. كان روبرت شخصاً ينال اي شيء يسعى وراءه، وبالتالي اخذ يوجد الاعذار ليأتي الى مكتب السيد هارفي حيث كان عملي. كان يعرض علي ان يوصلني بسيارته، او ان يدعوني الى غداء. وكانت الفتيات الاخريات يحذرنني منه. غير ان ذلك لم يكن ضرورياً بالنسبة لي، اذ كنت ادرك تماماً اي نوع من الشباب هو. كان معتاداً على ان يصل الى مبتغاه، الا انه لم يحاول شيئاً من هذا معي بعد خروجنا معاً للمرة الأولى. ظننت ان علاقتنا لن تتعدى هذا الحد، غير اني كنت مخطئة، اذ هو سألني ذات يوم ان كنت اقبل الزواج به! (هزت رأسها في اسى) لم اصدق آنئذ عرضه. ظننت ان الأمر لا يعدو كونه مناورة كي يستطيع ان يحصل مني على ما يريد. الا ان الحقيقة كانت غير ذلك. لقد كان يحبني فعلاً.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- ما يحصل عادة في مسائل كهذه. اصطحبني ليقدمني الى والدته. وكانت هذه آنذاك تملك منزلاً في منطقة ريتشموند... اوه، طبعاً، انت تعرفين هذا. حسناً. في اي حال، لم تشغف والدته بي، لكنها ادركت يومئذ كم كان روبرت جاداً، وكان عليها بالتالي ان تسلم بالأمر بطريقة تحفظ ماء

الوجه. ثم وضعت كل الترتيبات تحضيراً لحفلة الزواج. ولم يكن هناك من يساعدني على تحضير نفسي، ذلك اني، بعد مقتل والدي في حادث سيارة، ارسلت الى ميتم حيث ترعرعت، فاخذت السيدة بمبرتون على عاتقها امر مساعدتي في التحضير لحفلة الزواج. ثم طرأت فجأة حادثة فنزويلا التي فجرت المسألة برمتها.

- والغيت حفلة الزواج؟

- نعم.

استدارت جولي مبتعدة. لم يعد في استطاعتها ان تسترسل اكثر في الحديث، وادركت السيدة هادسون معاناة جولي فغيرت موضوع الحديث. وبدت جولي مقدرة لها ما فعلت.

عاودتها ذكرى تلك الليلة التي كان على روبرت ان يخبرها انه مضطر الى السفر الى فنزويلا.

في بدء سهرتهما، لم يخبرها شيئاً. وكانا التقيا، على عادتهما، في وسط المدينة، ثم تناولا طعام العشاء في احد المطاعم كانا يكثران من ارتياده. تلك الامسية، بدا روبرت قليل الكلام مكتئباً قليلاً، الا ان جولي لم تلاحظ ذلك، كونها كانت تحس بسعادة عارمة لعلمها ان اسبوعاً واحداً يفصلها عن زواجهما، تصير بعده السيدة روبرت بمبرتون.

لكنها اضطرت الى ان تعترف لنفسها، وقد فرغا من عشائهما، ان شيئاً ما ليس على احسن حال، وملكت قلبها رعشة من الخوف. وعندما اقترح روبرت ان يعرجا على منزل والدته في ريشتموند، لم تمانع. غير انها تساءلت، على رغم ان كل شيء اصبح جاهزاً في شأن حفلة الزواج، عما اذا كانت هذه هي اللحظة التي سينهار فيها كل شيء بينهما.

عندما توقفت السيارة في الباحة، لاحظت جولي ان المنزل غارق في ظلام دامس، وتطلعت نحو روبرت مستفسرة.

بادر هو يوضح لها:

- والدتي تقضي نهاية الاسبوع هذه خارج المنزل.

وخرج من السيارة ليأتي ناحيتها ويفتح لها الباب.

خرجت من السيارة مترددة:

- لماذا اتيت بي الى هنا، روبرت؟

اغلق الباب، قبل ان يجيب:

- تعالي الى الداخل. انا في حاجة الى فنجان قهوة.

في الرواق المترف الاثاث، اغلق الباب خلفه، وقادها الى الصالون. وفيما هما في طريقهما اذا بالسيدة هيوز، خادمة السيدة بمبرتون، تطل من باب المطبخ وفي عينيها استغراب.

بادرت تسأله:

- ظننتك، سيدي، ستمضي سهرتك في المدينة؟

اجابها بنبرة لا تخلو من حدة:

- كنت اعتزم هذا. لا تزعجي نفسك، سيدة هيوز. لن تكوني في حاجة الى شيء، يمكنك الذهاب.

- كما يشاء سيدي.

وقفت جولي خلف الكنبة، تراقب روبرت يسكب لنفسه فنجان شاي مثلج. فجأة، استدار في حركة عصبية، وقال لها:

- انزعي عنك معطفك واجلسي. لن اضايقك في شيء فلا تجزعي.

الا انها لم تستطع اخفاء قلقها، فسألته:

- لماذا اتيت بي الى هنا؟

- لا سبب لقلقك هذا، جولي. اردت ان احدثك عن امر في مكان حيث نستطيع ذلك في هدوء. هذا كل ما في الأمر. اجلسي، ارجوك.

فكت جولي ازرار معطفها. نزعته ثم القته على مقعد قريب منها. اقتربت لتأخذ لنفسها مكاناً على كنبة وثيرة.

- الا ترغبين في فنجان شاي؟

- كلا، شكراً.

- لدي نبأ غير سار، جولي.

احست كأن يداً باردة اخذت تعصر قلبها:

- نبأ غير سار! اي نبأ هذا؟ ليس... في شأن مايكل؟

كان مايكل في ذلك الوقت في رحلة على متن سفينته. وظنت انه قد يكون وقع له حادث.

هز روبرت رأسه نفياً، يحررها من قلق ليأسرها من جديد:

- كلا. ليس مايكل، بل موران الذي قتل في فنزويلا، البارحة.

وضعت يداً على عنقها، وفي عينيها حيرة وتساؤل. ورددت:
- موران؟ تقصد دنيس موران؟
كان دنيس موران مهندساً استشارياً يعمل لشركة بمبرتون.
- نعم. هو بالذات. كان يعمل في مشروع وادي نهر غوابا (صمت لحظة، ثم سألها) هل سمعت بهذا المشروع؟
- بالكاد (حاولت جولي ان تتذكر) أليس هو المشروع الذي بدأته انت شخصياً؟
- نعم.
اجاب روبرت يومىء برأسه.
- واردفت قائلة:
- طبيعي ان اشعر بأسى لفقد اي انسان، الا اني لا ارى، عدا هذا، ما الذي...
- لست ترين اي علاقة بين مقتله وبيننا نتيجة هذه الحادثة. اهذا ما اردت قوله؟
- نعم. اهذا كل ما في الأمر؟
- اخشى ان يكون غير هذا. كان مفترضاً ان نكمل هذا المشروع منذ وقت طويل. لكن حدث تأخر في التنفيذ. وعلينا ان ننتهي من بناء السد قبل موسم الشتاء الذي اخذ يقترب.
حبست جولي انفاسها:
- وماذا يعني هذا؟
صرخ فيها روبرت وقد عيل صبره:
- انت لا تسهلين الأمر علي لاشرح لك الموضوع.
قالت وهي تحدق فيه:
- ماذا تريدني ان اقول؟ لست ارى كيف ان مقتل هذا الرجل يمكن ان ينعكس علينا.
- الا ترين العلاقة؟ ام انك لا تريدين ذلك؟
اراح يده على الجدار واحنى رأسه يسنده الى ذراعه. واضاف:
- ان الأمر واضح (صمت قليلاً ثم اكمل بصوت ضعيف) علي ان اسافر الى هناك لاحل محل موران في الاشراف على تنفيذ المشروع.

انتصبت جولي كمن لدغ، وهتفت بصوت عال وبغضب:
- عليك ان تسافر الى فنزويلا؟
- نعم.
- لماذا انت؟
في هذه اللحظة نسيت جولي كل ما يتعلق بحفلة الزفاف التي لا يفصلها عنها سوى ايام معدودة.
- لانه... وكما ذكرت انت بنفسك للحظات، انا الذي بدأ هذا المشروع. وقد تسلم موران ادارته مني.
هزت رأسها بعنف غير مقتنعة:
- وان يكن هذا. فهناك مهندسون آخرون في الشركة... (وانهارت فجأة) ماذا يعني كل هذا؟ ماذا تحاول ان تخبرني؟ متى ستسافر؟
استدار نحوها وبدا وجهه مكفهراً:
- علي ان اغادر في مهلة... يومين او ثلاثة.
تملكها الخوف، وهتفت:
- لكنك لا تستطيع ان تفعل هذا! هل نسيت، روبرت؟
غمغم بصوت حمله كل ما في داخله من مرارة:
- بحق السماء، كيف استطيع ان انسى؟ ولهذا جئت بك الى هنا. لاخبرك الحقيقة من دون مواربة. كل ما اطلبه منك ان تحاولي تفهم وضعي...
صرخت به قائلة:
- وضعك انت! وماذا عني؟ لا يمكنك ان تقدم على عمل كهذا؟ لم لا يذهب احد غيرك؟ لماذا يجب ان تكون انت بالضرورة البديل؟
اشار اليها بيده ان تهدىء من ثورتها وانفعالها، وقال بصوت اجش:
- حاولي ان تنظري الى المسألة بعين المنطق. هل تظنين اني راغب في السفر الى فنزويلا؟
- لست متأكدة، حقيقة، ما الذي ترغب فيه.
تنهد روبرت، وقال بصوت متهدج:
- بالطبع تعرفين ماذا اريد. اريد ان ابقى هنا، معك. اريد ان اتزوجك! اردت هذا وانتظرته لفترة طويلة. كيف تتصورين احساسي،

والحال هذه؟

اجابته، وهي تكاد لا تصدق ما يقوله:

- لست ادري شيئاً، لم تعطني بعد عذراً مقبولاً يوجب ذهابك.

قاطعها بانفعال، قائلاً:

- اني لا اقدم اعذاراً. اسمعي، سأحاول ان اوضح لك المسألة بالتفصيل. المشروع هذا من تصميمي. انا الذي رعاه واشرف عليه في بداياته. وعندما بدا ان كل شيء يسير بحسب ما هو مرسوم، وقع انفجار في السد، قتل بنتيجته موران. فكيف، بالله، استطيع ان ارسل شخصاً اخر لينجز ما بدأته انا؟

كانت جولي في حال عصبية ظاهرة، تشبك اصابعها وتباعدها في حركة مستمرة. وعلقت قائلة:

- لكن الوقت ليس عادياً، روبرت. اذ ان كل الترتيبات وضعت تحضيراً لزواجنا الاسبوع المقبل. ولا يمكننا ان نلغي كل شيء.

اجابها روبرت غاضباً:

- اني لا اقترح الغاء كل شيء. كل ما اطلبه منك ان توافقي على تأجيل الموعد المقرر.

- ان نؤجله! ترى، في رأيك، كيف سيتقبل الناس هذا الأمر؟

- ماذا تقصدين؟

- تماماً ما اقوله (كانت حركات رأسها تواكب حدة كلماتها) الا ترى كيف سيفسرون هذه الخطوة؟ هل فقدت بصيرتك ايضاً؟ مجرد ذهابك في هذه المهمة دلالة على ان العلاقة بيننا قد قطعت... انتهت! وان تأجيل موعد الزواج ما هو الا الغاء تدريجي لعلاقتنا برمتها.

- ما تقولين هراء بهراء. (بدأ صبر روبرت ينفد، واعصابه تزداد توتراً اذ فاجأته كل هذه العقبات غير المنتظرة لخططه) لن نؤجل موعد زواجنا فترة طويلة... شهر او شهران على الأكثر.

- شهران! (اشاحت بنظرها بعيداً عنه) دع شخصاً اخر يسافر بدلاً منك.

اجابها معانداً وقد عقد الرأي على المضي في ما رآه.

- لا استطيع ذلك. اسمعي، جولي، لقد حاولت ان اشرح لك

المشكلة. واذا كنت لا تصدقينني، فلست ادري سبيلاً اخر لاقناعك.

احنت جولي رأسها في انكسار:

- كيف لي ان اصدقك؟ هل والدتك على دراية بالأمر؟

- نعم. انها تعرف.

- غالب الظن انها هللت للحدث (قالت بصوت ضعيف. ثم اضافت وفي نبرتها مرارة اليأس) على كل، انها فرصة توفر لها اسبوعاً او اسبوعين تستطيع خلالها ان تقنعك بانك تقترف بزواجك اعظم خطأ في حياتك. اليس كذلك؟

بدا روبرت في حال من المعاناة الشديدة، فصرخ فيها:

- جولي!

واقترب منها يضع يديه على كتفيها محاولاً ان يجعلها تلتفت اليه ثانية، الا انها تخلصت منه وابتعدت.

وهتفت بصوت عال:

- لا تلمسني.

تمالك روبرت غضبه.

- انك سخيفة، تتصرفين كما لو اني احاول ان انكث بعهدي لك.

- اوليس هذا ما تفعله؟

- كلا!

ابى ان يعترف بكل ما اوتي من قوته. كذلك، فان جولي بدت في حال يرثى لها، لا تستطيع ان تتبصر بفكر سليم.

قالت بصوت لا حياة فيه:

- اريد ان اعود الى منزلي.

- جولي! (هتف فيها والغضب يتملكه) لا يمكنك ان تذهبي هكذا ببساطة. نحن لم ننه حديثنا بعد. هناك ترتيبات علينا القيام بها في شأن ارسال اشعار بتأجيل موعد الزواج...

قالت تكرر طلبها:

- اريد ان اعود الى منزلي! (ثم استدارت نحوه) قم بالترتيبات التي تراها ملائمة فهذا شأنك. خصوصاً ان والدتك هي التي خططت لكل هذا.

- لن ادعك تذهبين وانت في هذه الحال... كوني عاقلة، جولي! اني

احبك. الا يعني لك هذا شيئاً؟

- لو كنت تحبني، لما سمحت لنفسك ان تفعل بي هذا... بل بنا نحن الاثنين! (حدقت فيه، ونداء رجاء اخير في عينيها) ارجوك روبرت، دع احداً اخر يذهب. بيتر مثلاً او ليونل غرانت.

- كلا (قالها بحزم) علي ان اذهب بنفسي، ارجوك ان تتقبلي الأمر.

تلفت روبرت حوله بحركات يائسة، كما لو كان يفتش عن كلمات يثبت بها صدقه في ما قاله:

- جولي، لا يمكنك ان تفعلي بي هذا... انا في حاجة اليك!

- اريد العودة الى بيتي. هلا اوصلتني؟ ام ان علي ان اسير الى المحطة لاستقل قطاراً؟

نهض روبرت من مقعده وهو يحدق فيها بكآبة يخالطها الحقد، وقال غاضباً:

- لن تذهبي الآن. وكما قلت لك قبل قليل، هناك ترتيبات علينا ان نقوم بها.

اجابته جولي بحدة، اذ لم تعد تحتمل المكوث:

- ليس في ما يخصني شخصياً.

وتناولت معطفها تبغي الخروج.

عندئذ، تحرك روبرت نحوها بغضب عارم، وقبض على ذراعيها، وانفاسه تحرق بشرتها الرقيقة، وصرخ بها:

- احبك! اريد ان اتزوجك!

حدقت فيه جولي، والألم يعتصرها. الحقيقة انها كانت مستعدة ان تنتظره مهما طال غيابه، الا انها ابت تلك اللحظة ان تستسلم للواقع. واجابته:

- لكني اكرهك! ولن يكون هناك زواج!

اكفهر وجهه، وشدها اليه يحاول، كمجنون، ان يعانقها. اما هي، ومع علمها ان رد فعله هذا طبيعي، فقد قاومته بشراسة.

الا ان معركتها معه كانت معركة خاسرة.

* * *

كان البرد قارساً في الخارج، على عكس الجو الدافىء الذي لفها وهي قرب الموقد. وتراءت لها الحياة في غياب ساندرا راحة مطلقة. في اي حال، كانت هناك مشاكل اخرى تقلقها بمقدار ما كانت تعذبها. واحست بحاجة ماسة الى رفقة ايما فقصدت غرفتها تتفقدها. الا انها، ما ان وصلت الى باب الغرفة، حتى وجدتها خالية. دخلت الى الحمام، عاقدة الجبين، فلم تجد لها اثراً. وخالجها احساس رهيب بان ايما ربما ذهبت الى غرفة ساندرا بغية تحطيم بعض اغراضها انتقاماً لما فعلته بها وبارجوحتها. فاسرعت جولي في الرواق المؤدي الى غرفة المربية. لكنها وجدتها خالية. هزت رأسها مستغربة اختفاء طفلتها. ونزلت ثانية الى الطبقة الارضية. وفكرت ان ابنتها لا بد ان تكون مع السيدة هادسون. كانت السيدة هادسون وحيدة في غرفتها، وقالت لجولي انها لم تشاهد الطفلة. فبدأ القلق يداخلها شيئاً فشيئاً. ترى اين هي؟

قالت السيدة هادسون.

- ربما خرجت الى الحديقة.

- آه، طبعاً كيف لم يخطر هذا ببالي، خصوصاً انها لم تصعد الى غرفتها بعد الغداء.

- سآتي معك.

الطقس الضبابي القى ظلالاً على الحديقة، وغشاوة رقيقة حجبت رؤوس الاشجار. وبدأ الغسق يهجم، والبرد قارس الى درجة جعلت جولي تحبس انفاسها. وسرت قشعريرة في جسمها. كان السكون يخيم على المكان، وبدا لها انه من غير الممكن ان تكون ايما خرجت الى الحديقة. هذا، الى انهما لم تسمعا لها صوتاً ولا لاحظتا لها اثراً. نادت جولي بصوت عالٍ:

- ايما! اين انت يا حبيبتي؟

لم يلق نداؤها جواباً. والتفتت الى السيدة هادسون التي لحقت بها. بدت هذه قلقة وهزت رأسها في حيرة:

- اليست في الحديقة؟

- كلا. هل... يا ربي. هل هذه ايما هناك؟.

ولم تنتظر جولي جواباً، بل انطلقت تركض هلعة الى حيث لمحت جسماً

يتحرك ببطء بين حطام الارجوحة. هناك على الارض، تحت الخيوط المتدلية من حبل الارجوحة كان جسم الطفلة الصغير مطروحاً بلا حراك تقريباً، والدماء تسيل غزيرة من جرح في رأسها.

صرخت جولي وهي تنشج:

- يا الهي، ايما! ايما!

وجثت على ركبتيها تلقي برأسها على جبين الطفلة. ثم مررت يدها على صدر الطفلة تتحسس النبض الخفيض الصادر من قلبها الصغير.

بالكاد احست بوجود السيدة هادسون الى جانبها، فرفعت اليها عينين معذبتين وتمتمت:

- هل هي... هل هي ميتة؟

هزت السيدة هادسون رأسها نفياً. غير انها، مثل جولي، بدت ممتقعة، وقالت بعد جهد، بصوت مشدود:

- كلا يا عزيزتي، لم تمت. لكن يبدو انها نزفت كثيراً، خصوصاً بعد مضي وقت عليها هنا في هذه الحال وفي هذا الجو الشديد البرودة، هيا. اسرعي الى المنزل واطلبي سيارة اسعاف!

ترددت جولي اولاً، وقد ابت ان تترك ابنتها، الا انها ادركت ان بقاءها الى جانبها لن يفيد الطفلة في شيء. فانتصبت وخفت برشاقة الى المنزل، فعبرت الرواق، لتطلب سيارة اسعاف. اخطأت في طلب رقم قسم الطوارىء مرتين، قبل ان تسمع صوت محرك سيارة في باحة المنزل، فاندفعت تهرول الى النافذة تستطلع الأمر. رأت روبرت يترجل من سيارته فهرولت ثانية عبر الرواق ودفعت الباب قبيل ان يهم بالدخول. نظرة واحدة الى وجهها كانت كافية ليستنتج ان امراً رهيباً قد حدث وبكلمات متقطعة، استطاعت جولي ان تخبره بما حدث،ابعدها من طريقه وراح يعدو عبر المنزل في اتجاه الحديقة الى حيث الطفلة ممددة. نظر بعبوس الى الارجوحة المحطمة، وخيل الى جولي انه سيسألها عنها، لكنه انحنى يجلس القرفصاء الى جانب الطفلة المغمى عليها ثم اخذ يتفحص الجرح في رأسها. وسأل بصوت متهدج تخنقه العاطفة:

- بالله، كيف حدث لها هذا؟

اجابت السيدة هادسون:

- يبدو، سيدي، من ثيابها الممزقة، انها تسلقت الشجرة وسقطت... ويبدو ان رأسها اصطدم بحافة الممر لدى سقوطها... انظر.

اومأ روبرت، وهو ينتصب ثانية:

- اسرعي الى المنزل واحضري بطانية لالفها بها. سانقلها بنفسي الى المستشفى.

نظرت السيدة هادسون الى جولي بتساؤل، فأومأت لها هذه ان تفعل ما طلبه منها روبرت. واسرعت الخادمة نحو المنزل. بينما جثت جولي ثانية على ركبتيها الى جانب ايما. واخذت يد الطفلة بين راحتيها. كانت الصدمة قوية، غير ان دموعها لم تعرف الى مقلتيها سبيلاً. واحست بجفاف في حلقها، وشعور رهيب بالخوف.

وضع روبرت يديه بثبات على كتفيها وشدها اليه، وقال:

- لا تخافي، ليس هناك شيء تستطيعينه حيالها. كل ما تفعلينه بتصرفك هذا انك تزيدين الأمور تعقيداً. هل تريدين الذهاب معي الى المستشفى.؟

- طبعاً.

خرجت الكلمة من فمها بصعوبة بالغة. ارتعشت. فخلع معطفه والقاه على كتفيها، وهو يتفقد المكان حوله بقلق، ينتظر عودة السيدة هادسون. حاولت جولي ان تجد وسيلة لمساعدة ايما، فسألت بصوت تفاوتت قوة نبرته:

- اليس من الخطر ان نحركها من مكانها؟

القى روبرت نظرة على الجسم الصغير الجامد، وقال:

- لا اعتقد ان هناك كسوراً في جسدها.

ويجب ان تنقل من هنا بسرعة فالضباب والرطوبة يؤذيانها.

- هل تعتقد... هل تعتقد انها ستكون بخير؟

- طبعاً، طبعاً ستكون بالف خير.

عادت السيدة هادسون ببطانية، تناولها روبرت ولف بها الطفلة بعناية، وحاول ما استطاع ان يرفع رأسها بكل اناة. لحظة بان مصدر النزيف، اشاحت جولي نظرها، وطغى عليها هاجس رهيب ان الطفلة ستموت لا محالة، من دون ان يدري روبرت انها... ابنته.

في الطريق الى المستشفى، كانت جولي، بين الفينة والاخرى، ترفع ضمادة من القطن عن الجرح النازف وتبدلها باخرى، والافكار تتقاذف ذهنها وعقدة الذنب تكبلها. ولاحظت في الوقت نفسه ان روبرت كان يعاني الامرين هو الآخر. العاملون في قسم الطوارىء كانوا في انتظارهم، ذلك ان السيدة هادسون اتصلت بالمستشفى سلفاً. وفور وصولهم نقلت ايما على حمالة نقالة على جناح السرعة. كان الطبيب لطيفاً جداً، قاد جولي وروبرت الى غرفة الانتظار وطلب اليهما البقاء حتى يفحص ايما ويأخذ صورة اشعة لرأسها.

مرت بضع دقائق، خالتها جولي دهراً، واذا بممرضة تدخل الغرفة. ونظرت نحو جولي والاضطراب باد على محياها. نهضت هذه من مكانها وكادت ان تخونها قواها. اشارت اليها الممرضة.

- سيدة بمبرتون. هلا تفضلت بالمجيء معي؟

التفتت جولي نحو روبرت فأومأ لها باشارة يشد من عزيمتها. خرجت الممرضة وسارتا في الرواق المؤدي الى غرفة صغيرة مخصصة بالفحوصات الأولية حيث كانت ايما لا تزال ممددة على السرير بلا حراك.

اقترب منها الطبيب لحظة دخولها، وقال: هناك شيء علي ان اصارحك به، سيدة بمبرتون.

- ما الأمر؟

- هدئي من روعك، سيدة بمبرتون. فليس هناك ما يخص وضع ايما لا نستطيع التغلب عليه. ستكون انشاء الله على ما يرام. لكنها تحتاج الى كمية من الدم اثر النزيف الذي افقدها الكثير منه. والواقع ان فئة دم ايما، لسوء الحظ، نادرة. انها الفئة ا.ب سلبي. وهي ليست متوافرة حالياً في المستشفى.

هتفت جولي تلقائياً، تقاطعه:

- دم روبرت من الفئة ذاتها!

- روبرت؟ ومن يكون؟

شدت بقبضتها على حقيبة يدها، لكثرة ارتباكها، وقالت: نعم... انه السيد روبرت بمبرتون... صهري.

- اتعتقدين انه مستعد للتبرع؟

- اوه، لست ادري... انه... ربما.

كانت كلماتها الأخيرة تعكس ترددها، اذ هي ندمت على اطلاعهم على هذا الأمر. لكنها ادركت في ما بعد انها فعلت هذا لانقاذ ايما. فحياة الطفلة عندها كانت اهم من اي شيء اخر. اوما الطبيب الى الممرضة التي احضرت جولي قبلاً، وقال لها:

- اذهبي واسألي السيد روبرت ان يأتي الى هنا.

اما جولي فدنت من سرير ايما تنظر بحنان الى وجهها المبيض والدم المتخثر بقعاً على جبهتها. مسكينة هذه الصغيرة، كل ما حدث لها سببه تلك الارجوحة.

دخل روبرت الغرفة، تتقدمه الممرضة. نظر الى ايما اولاً ثم الى جولي. وتقدم منه الطبيب وهو يراجع بعضاً من الملاحظات كان قد دونها على ورقة صغيرة. رفع نظره نحو روبرت وبادره بالقول:

- آه، سيد بمبرتون. كنت اخبر جولي منذ لحظات ان ايما في حاجة الى كمية من الدم. ولسوء الحظ الفئة التي تحتاج اليها ليست متوافرة عندنا في الوقت الحاضر، وعلينا ان نطلبها من مستشفى اخر.

- وهل ارسلتم في طلبها؟

- كنت على وشك ان افعل، لحظة انبأتنا السيدة بمبرتون بان فئة دمك هي ذاتها التي نحتاج اليها.

بدا روبرت كمن اخذ على حين غرة. وحدج جولي بنظرة خاطفة ثم التفت الى الطفلة. تعابيره الحائرة تكشف عما كان يدور في ذهنه، محاولاً استيعاب ما قاله له الطبيب.

- اتعني اني استطيع اعطاء ما تحتاج اليه الطفلة من دم؟

- نعم، سيد بمبرتون. اذا كنت موافقاً؟

- بالطبع انا موافق.

بدا نافذ الصبر وهو يفك ازرار معطفه ويرخي كم قميصه. ثم اردف قائلاً:

- ارني فقط ما الذي يجب علي عمله.

احست جولي، تلك اللحظة، انه يكاد يغمى عليها. اذ لم تعد تستطيع ان تتحمل المزيد. ترنحت قليلاً، وحاولت الامساك بذراع كرسي قربها

كي تتفادى السقوط. ولما لاحظ الطبيب حال المرأة اوعز الى الممرضة ان تخرج السيدة بمبرتون من الغرفة الى حيث تستطيع ان تستريح لبضع دقائق، تستعيد خلالها انفاسها.

- لكني اريد البقاء هنا.

- ليس ما تستطيعين عمله. تعالي معي. لا اظنك تريدين ان تكوني غائبة عن الوعي حين تفيق ايما من غيبوبتها.

عادت جولي الى غرفة الانتظار تجلس وحيدة. وخيل اليها ان ساعات عدة مرت وهي تنتظر. لكن لا يعقل ان يكون مضى عليها وقت طويل وهي في هذه الحال من الترقب. وما ان عادت الى وعيها كاملاً حتى نهضت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً بخطى لا اتزان فيها، تتوق الى معرفة ما حدث اثناء غيابها، وتتساءل اذا كان روبرت انتهى من التبرع بكمية الدم المطلوبة. لا بد انه فعل ذلك منذ بعض الوقت. لكن اين هو؟ وهل تمت عملية نقل الدم؟

فتحت الباب والقت نظرة متفقدة على الرواق، فلم تجد احداً يمكن ان يطالعها بخبر، عدا بعض الخدم والممرضات الذين كان كل واحد منهم منكباً على عمله. اخيراً، جاءتها الممرضة بالخبر اليقين:

- تفضلي معي، سيدة بمبرتون فأبنتك صحت من غيبوبتها. هل ترغبين في رؤيتها؟

خانت الكلمات جولي، فأومأت برأسها ايجاباً. وتبعت الممرضة عبر الرواق. كانت الطفلة في غرفة جانبية وقد بدلت ثيابها وغسل رأسها ثم قُمط بضمادة بيضاء زادت في ابيضاض بشرتها. لكنها، على رغم كل هذا، بدت افضل حالاً. جثت جولي الى جانب سريرها، واخذت يد الطفلة تضغط بها على خدها ثم قربتها الى فمها ولثمتها. هتفت، لحظة فتحت الطفلة عينيها الرماديتين وارتسمت على ثغرها ابتسامة تعبة:

- اوه، ايما!

غمغمت الطفلة بصوت ضعيف:

مرحباً يامي... رأسي يؤلمني.

- نعم يا حبيبتي، لقد سقطت سقطة قوية. لكنك ستتعافين قريباً باذن الله. انت الآن في المستشفى، والجميع هنا رهن اشارتك.

اغمضت الطفلة عينيها ثم فتحتها ثانية.

- اعرف ما حصل لي. عمي روبرت اخبرني كل شيء.

نظرت جولي حولها. كانت مستغرقة في اقناع نفسها ان ايما ستتعافى، فلم تنتبه الى الآخرين معها في الغرفة. وقع نظرها على الطبيب يراجع ملاحظاته، واقفاً عند مقدم السرير، والى جانبه وقفت الاخت المسؤولة عن القسم. لكنها لم تر اثراً لروبرت.

بادرت الاخت تقول اذ لاحظت تساؤل جولي:

- الممرضة تحضر فنجان شاي للسيد روبرت، لقد خرج ليتسنى لك الاختلاء بابنتك على حد قوله.

- حسناً (وعادت تسأل ابنتها) في ما خلا الجرح في رأسك، كيف تشعرين يا حبيبتي؟

- اني بخير، سوى ان ذراعي تؤلمني، فضلاً عن جرح في ساقي.

قالت الاخت معقبة وهي تقترب منها:

- انها رضوض سطحية. ليسَ هناك من اصابات بالغة. واذا ما تم الاعتناء بجرح رأسها كما يجب فاني لا ارى سبباً لبقائها هنا اكثر من ايام قليلة.

هتفت ايما:

- ايام معدودة! لكني لا اريد البقاء وحدي هنا؟

تدخلت جولي تطمئنها:

- لن تكوني وحدك يا حبيبتي (ورفعت نظرها نحو الاخت تسألها) هل يمكنني البقاء معها؟

ترددت الاخت قليلاً، وبلهجة مسؤولة قالت:

- ربما هذه الليلة. نعم. يمكننا ان نتدبر هذه المسألة. هل ترغبين، ايما، في ان تبقى والدتك، الليلة، معك؟

- اوه. نعم.

- حسناً. سأذهب لأرتب مسألة بقائك.

وابتعدت الاخت فيما اقترب الطبيب من السرير.

وبادر بالقول موجهاً كلامه الى ايما:

- حسناً يا سيدتي الصغيرة. آمل ان يلقنك هذا الحادث درساً بعدم

تسلق الاشجار ثانية.

خرجت جولي ثانية تبحث عن روبرت.

- اين ذهب السيد روبرت؟

اجابها الطبيب:

- اظن انه عاد ثانية الى غرفة الانتظار.

اسرعت في اتجاه غرفة الانتظار. دفعت الباب ودخلت. كان روبرت جالساً في احد المقاعد، وذراعاه تستريحان على ركبتيه، يطالع مجلة وجدها على طاولة قريبة منه. رفع نظره مستطلعاً، لحظة دخول جولي. اغلقت الباب وراءها واسندت ظهرها اليه، وقالت:

- لقد اعطوها منوماً، وستنام بعد قليل.

اعاد روبرت المجلة الى مكانها ونهض من مقعده، وعلق قائلاً:

- حسناً.

ولاحظت جولي ان سلوكه لم يكن مشجعاً، فترددت قليلاً. ثم خاطبته قائلة:

- يرى الطبيب ان لا مانع في بقائي هنا الليلة. وقد وافقت على ذلك. هل في امكانك ان تعود الى المنزل وترسل الينا بعض الملابس؟ السيدة هادسون ستوضبها لك.

- حسناً.

- انها افضل الآن. اليس كذلك؟

- انها افضل بكثير.

- والفضل في هذا... يعود اليك. فبوجودك استطاعت ان تحصل على ما احتاجته من دم. اني... شاكرة لك صنيعك.

- لا شكر على واجب. الا ان هناك ما اود معرفته. كيف عرفت ان فئة دمي هي من فئة دم ايما؟

- مايكل اخبرني.

- بحق السماء يا جولي. كيف صادف ان فئة ايما هي ذاتها فئة دمي وليست من فئة دم مايكل؟ واحد منا فقط دمه من هذه الفئة النادرة.

- وكيف لي ان اعرف؟ هذه الأمور تحدث...

امسكها من كتفها وادارها في مواجهته مرغماً اياها على النظر اليه:

- جولي، اريد معرفة الحقيقة. هل ايما ابنتي؟

٦ - حاولي ان تفهميني

حدقت فيه جولي طويلاً قبل ان تجيبه. كانت تتوقع هذه اللحظة منذ ان اطلعت الطبيب، عن غير قصد، على نوع فئة دم روبرت. ومع هذا لم تكن مستعدة لمواجهته. اخيراً، قالت له:

- لا يحق لك ابداً ان تطرح علي سؤالاً كهذا.

- ليس لي حق السؤال!؟ (بدا ثائراً يتآكله الغيظ) بالطبع لي الحق. اذا كانت ايما ابنتي، فمن حقي ان اعرف.

- كيف تسمح بان تدعي هذا، وانت الذي غادر الى فنزويلا من دون ان تلتفت الي؟

- هذا ليس صحيحاً! (واشتدت اصابعه على كتفها) افكاري واحاسيسي كانت كلها معك! لكنك، في المقابل تزوجت مايكل! لم تنتظري عودتي. بل ارغمتني على ان احتقرك! وعندما عدت من فنزويلا وادركت ما فعلته، تمنيت لك الموت. صدقيني!

ارتعشت جولي لوقع كلماته، الا انها حاولت ان تظل هادئة. لكن الأمر لم يكن سهلاً عليها وقبضته تبعث الاضطراب والاثارة في اعماق احساسها وعواطفها. وقالت ترد عنها التهمة:

- لقد بعثت اليك برسالة. سألتك فيها ان تعود. قلت لك اني ارغب في الاجتماع بك...

سارع يقاطعها بصوت يكتم فيه غيظه:

- من دون ان تفصحي عن اي سبب. قصاصة ورق صغيرة تطلبين فيها ان اعود الى انكلترا. كيف يمكن ان اجيب عن رسالة كهذه؟ وكيف يكون

مطلوباً مني ان ادرك الغاية منها؟ خصوصاً ان موقفك لم يتبدل حيالي. كان علي ان اذهب الى غوابا، وان اعرف سبب الانفجار الذي وقع. فكيف بالله، تريدينني ان اترك كل شيء على ما هو واعود الى انكلترا، وانت في المقابل ترمينني باتهامات شتى وترسلين الي انذارات قاطعة؟ (كان روبرت يتكلم وهو في حال غليان، وجهه كالح وصوته يشوبه التوتر). لن تدركي ابداً كيف كان شعوري تلك الليلة، يوم تركتني وخرجت من منزل والدتي!

لم تستطع جولي، وقد احست من خلال عينيه المعبرتين بصدق احساسه، ان تطلق العنان لاحاسيسها، فقالت:

- كان هذا من زمن طويل.

- ليس بالنسبة الي. اتذكر هذه الأمور وكأنها حدثت البارحة. هل تظنين اني لم اوجه اللوم الى نفسي لما اقدمت عليه تلك الليلة؟

- كيف استطيع تصديق كلامك؟

اجابها وصوته اقرب الى الحشرجة:

- يا الهي... ! انها الحقيقة يا جولي.

سألته ثانية وصوتها يكاد يختنق:

- كيف لي ان اعرف ان ما تدعيه ليس سوى وسيلة دهاء لتدفعني الى الاقرار بحقك في ابوة ايما، بعدها يمكنك قانوناً ان تأخذ ابنتي مني؟

- جولي! (امتدت اصابعه تحكم الطوق حول عنقها) جولي... لقد عهد الي مايكل بمسؤولية رعاية الطفلة وتنشئتها. بهذا وحده استطيع ان اوجه حياتها كيفما اشاء. لماذا فعل ذلك، في رأيك؟

دفعته جولي عنها مشيحة بنظرها. ومن دون ان تلتفت اليه قالت بصوت خافت:

- لست ادري سبباً لذلك.

تمتم بكلمات لم تفهمها قبل ان يقول:

- بالطبع تعلمين يا جولي. من تراه احق مني في رعاية الطفلة؟ يا الهي. قوليها انطقي بالحقيقة!

استدارت اليه، وصرخت، والاضطراب يشحن نبرات صوتها:

- حسناً يا روبرت. ايما هي طفلتك. لكنك لن تستطيع اثبات هذا ابداً!

تنفس بعمق وقال اذ فوجىء باعترافها:

- اذن، انها الحقيقة، يا الهي لماذا علي ان اثبت حقيقة ساطعة؟

رفعت كتفيها استسلاماً وقد اسقط في يدها وقالت:

- لا تحاول ان تجرني الى الاعيبك. فأنا لست طفلة، واعرف تماماً ما يعنيه الأمر بالنسبة اليك. لقد كرهتني قبلاً، ولا يمكن ان يزداد كرهك حيالي اكثر من ذلك، ولا اتصور انك ترى فيّ الأم الصالحة لتربية طفلتك!، لهذا كله ستسعى الى...

واختنق صوتها فاستدارت مبتعدة تخبىء ملامح الذل في قسماتها.

حاول روبرت الاقتراب منها، لكنه عدل فجأة واستدار على عقبيه خارجاً من الغرفة، تاركاً اياها وحيدة وسط الغرفة، يبعث منظرها على الأسى والشفقة. مساء ذلك اليوم، احضر احد العاملين حقيبة الى غرفة ايما، واوضح لجولي ان احدهم سلمها الى حارس المستشفى فادركت انها الحقيبة التي كانت اوصت روبرت على طلبها من السيدة هادسون.

صباح اليوم التالي، حضرت السيدة هادسون لتعود ايما وقد احضرت معها بعض العاب التسلية. وكانت جولي تجلس على السرير قرب ابنتها بعد ليلة نالت فيها قسطاً قليلاً من النوم. واضفى حضور الخادمة ولطفها المتميز وقعاً طيباً في نفس جولي وايما على حد سواء. وبدت الطفلة فرحة مفعمة حركاتها بالحيوية، وهي منشغلة في تفحص بعض الدمى. وعلى رغم انها كانت لا تزال تحس وهناً جسدياً، لكن شحوبها خف كثيراً وبدت في حال افضل. بادرت السيدة هادسون بالقول تسأل جولي:

- ما الذي حدث لك البارحة؟ تبدين في اسوأ حال! عيناك غائرتان. كفي عن خوفك. فليس من سبب الآن في الا تتعافى الطفلة قريباً!

تنهدت جولي:

- لم انم جيداً الليلة الفائتة.

- لكن هذا ليس سبباً كافياً؟ وهل تظنين اني غبية الى هذه الدرجة فلا ادرك ان امراً اخر يقلق بالك؟ وان حادث ايما ما هو سوى جزء بسيط من المشكلة؟ (طوت قفازيها. واردفت) اما في ما يتعلق بروبرت. فلا تسألي اي طبع سيء كان له لدى عودته الليلة الفائتة. كان غاضباً الى درجة احسست معها بالشفقة حيال الآنسة لوسن.

عقدت جولي حاجبيها وسألت تستوضحها:

- الآنسة. . . لوسن؟

- نعم. الآنسة ساندرا لوسن، لقد غادرت المنزل هذا الصباح.

بدت الدهشة على جولي.

- ماذا فعلت؟ . . . لماذا؟

- لاسباب عدة، على ما اعتقد والسبب الابرز، كون ايما ستذهب الى مدرسة القرية.

شهقت جولي وقد اخذها النبأ. ورفعت ايما عينيها والدهشة على وجهها، وهتفت بانفعال:

- هل حقاً ما تقولين؟ هل هذا صحيح يا امي؟

هزت جولي رأسها باستسلام.

- اذا . . . اذا قالت السيدة هادسون ذلك فهو صحيح لا لبس فيه (والتفتت الى الخادمة تسألها وهي تشعر بدوار) لكن . . . لماذا؟ هل اخبرك الغاية من ذلك؟

اجابتها السيدة هادسون وقد بدت تتمتع بهذه اللحظات المهمة والسعيدة في آن:

- هو بالكاد كلمني. الا اني سمعت جدلهما وهما في الصالون. ثم اخبرتني الآنسة لوسن خلاصة ما دار بينهما من حديث.

تنفست ايما بانشراح، وقالت معقبة:

- وانا سأذهب الى المدرسة؟

اجابتها جولي:

- يبدو الأمر كذلك (واضافت تسأل السيدة هادسون) هل اتى روبرت على ذكر السيد هيلينغدون؟

- لم يذكر شيئاً من هذا القبيل يا سيدتي. وكما سبق وقلت، لم يكن في حال مرضية لدى عودته الى المنزل. ولم تكن حاله افضل عندما شاهدته يغادر المنزل وينطلق بسيارته في سرعة جنونية.

تنهدت جولي وعلقت قائلة:

- حسناً. لقد حققنا اخيراً مكسباً ما.

اومأت الخادمة برأسها ايجاباً:

- هذا ما اعتقده. لم اصدق حقيقة انه ارتاح في يوم من الايام الى تلك المرأة. فهي ليست من النوع الذي يصلح لتربية طفلة حساسة كايما وتعليمها.

اخذت ايما «تنطنط» على سريرها لشدة انفعالها وسرورها مما حدا بجولي ان تمسك بها وتهدىء من حركتها، وقالت الطفلة تسأل والدتها:

- متى استطيع الذهاب الى المدرسة؟

اعادت جولي ترتيب غطاء السرير بعناية وهي ترد على ابنتها:

- اهدأي الآن. والا عاودك الصداع فتضطرين عندئذ الى البقاء في المستشفى فترة اخرى. في اي حال، ذهابك الى المدرسة لن يكون قبل نهاية عطلة الميلاد. حين يعاود جميع التلاميذ دراستهم.

احكمت ايما يديها حول ركبتيها المرفوعتين امام صدرها، وهتفت:

- كم هو رائع هذا!

- صحيح. لكن لا تظني انك تستطيعين نيل ما تشائين، لمجرد ان عمك روبرت. . .

واختنق صوت جولي. ولو لم تكن يقظة وتتمالك نفسها لكادت تنفجر بالبكاء وبدا ان السيدة هادسون تنبهت للامر، فحولت انتباه ايما باظهار اهتمامها بما كانت الطفلة تفعله. واستطاعت جولي في هذه الاثناء ان تسيطر على نفسها ثانية. ثم تركت السيدة هادسون بعد ان وعدتها جولي بالاتصال لاحقاً لتخبرها بموعد عودتها الى المنزل. ولم تبد ايما كثير اهتمام لانها ستترك وحيدة هذا اليوم. وقررت جولي العودة الى المنزل مساء حالما تغفو ايما.

بعد ظهر ذلك اليوم جاءهما زائر غير منتظر: لوسي بمبرتون التي ولجت الى غرفة ايما كما لو كانت سليلة العائلة المالكة. هتفت حين رأت ايما والضمادة تزنر رأسها:

- اوه، يا مهجتي، ما الذي فعلوه بك؟

لم تكن ايما معتادة على مثل هذا النوع من ردات الفعل وكادت تدمع خوفاً، في الوقت الذي بادرت جولي قائلة:

- ايما في حال افضل بكثير الآن مما كانت عليه. والممرضون والممرضات يحبونها ويعاملونها معاملة حسنة. اليس كذلك يا حبيبتي؟

اومأت ايما برأسها موافقة، اما لوسي فتفقدت المكان حولها بعينين غير راضيتين، ثم علقت هاتفة:

- لكنه مكان لا يليق بها! يجب ان تنقل الطفلة الى مستشفى خصوصي، اكثر تمدناً وتطوراً، حيث للغرفة سجاد وورق جدران! (ثم حولت انتباهها نحو الطفلة. وقالت لها) كيف تشعرين، يا حبيبتي؟

اجابتها ايما ونظرها نحو والدتها:

- اني بخير.

وبدا ان الطفلة لم تعد تشعر بميل نحو جدتها منذ تلك الليلة عندما تقيأت في شقة روبرت.

قالت الجدة:

- روبرت اطلعني على الأمر هذا الصباح... هاتفياً...

بدت جولي متفكرة. وبدا لها واضحاً من كلام لوسي وتصرفاتها، ان روبرت لم يطلع والدته على حقيقة ابوته للطفلة. لكن الى متى سيبقى هذا الأمر طي كتمانه؟ثم اجابت:

- اعتذر عن ذلك، الا اني لم ارد ان اشغل بالك في امر ليس ضرورياً.

ردت لوسي كتفيها دفاعا ترفض تبرير جولي:

- غير ضروري؟! لكني جدتها! من حقي اخذ العلم حين تصاب حفيدتي بحادث خطير.

رفعت ايما عينيها عن علبة الهدية وقد هلعت اذ ادركت بلاغة جرحها.

حاولت جولي ان تخفف من وطأة كلام حماتها فهتفت مدافعة:

- انك تتكلمين كأن الأمر اخطر بكثير ما هو فعلاً. نعم، اصيبت ايما في الحادثة بجرح ورضوض. هذا كل ما في الأمر.

- هذا كل ما في الأمر؟ عملية نقل دم بكمية كبيرة، ليست شيئاً بسيطاً يا عزيزتي جولي.

تنفست جولي عميقاً تكتم غيظها، وادركت ان روبرت اطلع والدته على مسألة نقل الدم.

استرسلت لوسي قائلة:

- كان شيئاً حسناً ان وجدت كمية كافية من الدم التي احتاجت اليها ايما. هل يمكن ان تتصوري ماذا كان يمكن ان يحدث لو لم تكن الكمية

متوافرة هنا؟

- اي دم هذا يا امي؟

سألت ايما وفي عينيها قلق ظاهر.

- لا شيء، يا حبيبتي.

نزعت جولي ما تبقى من غلاف العلبة التي احضرتها لوسي، وبانت في داخلها دمية في ثوب ثمين.

- آه، انظري كم هي جميلة.

حاولت جولي ان تحول اهتمام ابنتها، وفي ذهنها تضج افكار مختلفة كون روبرت لم يطلع والدته على ان الدم الذي اعطي لايما هو نفسه الذي تبرع به.

في هذه اللحظات كان انتباه لوسي قد تحول الى الطفلة الفرحة بحصولها على الدمية. الا انها، وفيما جولي ترافقها في البهو الى المدخل الرئيسي للمستشفى، عادت تقول:

- سوف ارتب الامر لتنقل ايما الى مستشفى خاص، كنت نصحت بالذهاب اليه منذ سنوات، لمستواه الراقي وخدمته الجيدة.

- ارجوك! لا اريد ان تنقل من هنا. فالمكان قريب من ثورب هيلم، واني اتوقع عودتي الى المنزل هذه الليلة.

- اذن، سأبحث الأمر مع روبرت.

- كما تشائين، اني لا استطيع منعك.

- لا تستطيعين؟ لقد اخبرني روبرت ايضاً انه صرف الآنسة لوسن؟

- هذا ما اعتقده.

- هل تعرفين لماذا فعل ذلك؟

- لان ايما ستذهب الى مدرسة القرية.

- مدرسة عامة؟!

- نعم.

- اوه! لكن الأمور تعدت نطاق المعقول، ما الذي يعتقد روبرت انه فاعل بعمله هذا؟ طبعاً، تلك هي مشيئتك.

لم تهن عزيمة جولي ازاء كلام حماتها القاسي، وقالت لها بصوت هادىء:

- ايما في حاجة الى الاختلاط باولاد آخرين. انك تدركين هذا الأمر

بالطبع.
- استطيع ان ارى بوضوح جيداً.
اخرجت منديلاً من حقيبتها وعالجت انفها بحدة. ثم عادت تنظر ثانية الى كنتها، وظهر في عينيها نداء رجاء، وقالت:
- لا اظنك يا جولي، ستقومين باي عمل قد يؤذي روبرت، اليس كذلك؟
ارتسمت الدهشة على وجه جولي ورددت:
- انا؟ اؤذي روبرت؟
هزت لوسي رأسها وكأنها تخلت عن التماسها لدى جولي ورجائها اياها، وقالت في اقتضاب:
- انا عجوز غبية. . . والآن علي الذهاب. هالبيرد في انتظاري. هو الذي اتى بي في السيارة. وداعاً يا جولي.
في وقت لاحق من تلك الأمسية، استقلت جولي سيارة تاكسي عائدة الى المنزل.
فور عودتها، رحبت بها السيدة هادسون بحرارة، وساعدتها في نزع معطفها وواكبتها الى غرفة الجلوس. كان الطقس في الخارج رطباً شديد البرودة، بعكس الداخل حيث الدفء والنور. ورغم كل هذا احست جولي بالحزن يكتنفها. سألتها السيدة هادسون، وهي تراوح في الغرفة:
- هل اكلت شيئاً؟
هزت جولي رأسها نفياً:
- كلا، لكني لست جائعة. . .
ثم، فجأة، انفجرت قائلة، اذ لاحظت اناء كبيراً من الورد الابيض موضوعاً على طاولة في الطرف القصي من الغرفة:
- من اين اتت هذه الورود؟
اجابت السيدة هادسون وهي تحل رباط مئزرها عن وسطها:
- وصلت بعد ظهر هذا اليوم. وورود جميلة، اليس كذلك؟
- من ارسلها؟
رفعت السيدة هادسون كتفيها لا تدري هي الاخرى:
- لم ترفق بها بطاقة. ظننت انك تعلمين ممن تكون.

هزت جولي رأسها نفياً واجابت بعدما استعصى عليها معرفة المرسل:
- كلا. كلا، لا ادري. هل. . . اتصل السيد. . . روبرت، اليوم؟
- كلا يا سيدتي. الم يتصل بك انت؟
- كلا. قد يكون اتصل بالمستشفى ليطمئن. . . لا ادري.
- الا تعتقدين يا سيدتي انه هو مرسل الباقة؟
هزت جولي رأسها تنفي قطعاً:
- كلا. اتساءل فقط اذا كنت سمعت منه اي شيء.
عكست قسمات وجه السيدة هادسون احساسها الداخلي وهي تراقب جولي، ثم سألتها:
- كيف حال الصغيرة؟
- انها نائمة الآن سأعود اليها غداً صباحاً.
- تبدين تعبة يا سيدتي، لماذا لا تأوين الى فراشك؟ سأحضر لك كوباً دافئاً من الحليب.
- كلا، ليس الآن. اين. . . اين ذهبت الآنسة لوسي؟
- عادت الى لندن، على ما اعتقد. ويمكن ان تكون عرجت على منزل الآنسة هيلينغدون قبل ذلك.
اومأت جولي برأسها تراجع الأمر واستراحت على كنبة قربها.
- اوه، نعم، باميلا.
- هل احضر لك شيئاً منعشاً؟ (سألتها الخادمة وبدت مصرة على ذلك). اذا استمريت على هذه الحال في ارهاق نفسك، فستمرضين.
اراحت جولي رأسها الى ظهر الكنبة:
- انا بخير، شكراً، سيدة هادسون.
فجأة، تناهى الى جولي، مع صفير الريح، صوت محرك سيارة تقترب ثم ضجيج فراملها وهي تتوقف امام باب المنزل. وفي رمشة عين كانت منتصبة على قدميها ويد رشيقة تسل شعرها.
خاطبت الخادمة بصوت لا عزم فيه:
- انا لست هنا، كائناً من كان القادم. لا استطيع ان اقابل احداً الآن.
- حسناً يا سيدتي.
توجهت الخادمة تفتح الباب، فيما اغلقت جولي باب الصالون،

واستندت ظهرها اليه، كأنها صممت على رد اي دخيل بالقوة. في اي حال، لم تدم لحظة هنائها طويلاً. اذ سمعت وقع اقدام تعبر الرواق، وما هي الا لحظات حتى دفع الباب وجولي حادت الى جانبه، بينما ولج روبرت الى الدار، ترافقه نسمة باردة مشبعة برائحة عطره وعبير معجون الحلاقة الذي يستعمله. لم يلاحظ وجودها، بادىء الأمر، حيث وقفت، واخذ يجول بنظره حوله بصبر نافد، الى ان وقع نظره عليها. اوصد الباب وراءه بحزم، وشرع يفك ازرار معطفه. ابتعدت جولي عن الباب وعبرت لتقف في الوسط قرب الموقدة الكهربائية. وتمنت لو يقول شيئاً، ولما لم يفعل، بادرت تقول بتأن:

- اذا كنت اتيت لترى ايما، فهي ليست هنا.

- اعرف هذا ذهبت الى المستشفى، ظاناً انك لا تزالين هناك، بغية اعادتك الى المنزل. كيف عدت؟ هل هو هيلينغدون الذي اقلك بسيارته؟

- فرنسيس؟... كلا، لماذا؟

- لانه ذكر انه ذاهب الى المستشفى ليعود ايما... على كل، ليس هذا مهماً.

- اذن، عرفت ان ايما هي في حال افضل بكثير؟

- نعم. لقد سمحوا لي برؤيتها. كانت نائمة بالطبع، لكن بدا واضحاً انها كانت تتنفس بشكل طبيعي، ولون بشرتها افضل.

- حسناً، حسناً.

الا انها كانت مضطربة وبدأت عصبيتها تتضح شيئاً فشيئاً.

فجأة سألها:

- الن تسأليني لماذا حضرت الى هنا؟

بدت كمن اسقط في يده:

- حسناً... لماذا انت هنا؟

ابتعد روبرت عن الباب قليلاً، وعكست ظلال الضوء على وجهه الارهاق الذي يعانيه هو الآخر. كان لا يزال مشدود الاعصاب. حوّل نظراته الى اناء الورد الموضوع على طاولة جانبية، وظنت انه سيعلق بشيء ما. الا انه بدل ذلك قال:

- لقد اتيت لأراك جولي.

- آه، فعلاً؟ لماذا؟ لست ارى ما يمكن ان يقال بيننا اكثر مما قيل. اللهم الا اذا كنت في صدد ابلاغي ان علي الا افاجأ متى جاءت والدتك لتواجهني بحقيقة معرفتها ان ايما هي طفلتك.

- جولي! (صرخ فيها وفي صوته ألم عميق) كفي عن التكلم بهذا المنطق. فلن يعلم احد ابداً باني والد ايما!

حدقت فيه جولي:

- وكيف استطيع تصديق ذلك؟

هز روبرت رأسه بأسى، وقال:

- لا بد انك تظنينني رجلاً بلا مبدأ لتفكّري اني قد اكشف للجميع ان اخي فضل ان يكون اباً لابنتي! الى الآن، وكما يعلم الجميع، ايما هي ابنة مايكل وسيبقى الأمر كذلك. لا استطيع ان اقدم اقل من هذا الى رجل احببته واعجبت به.

احست جولي بوهج الدمع في مقلتيها:

- اذن، لماذا كان عليك ان تطلب معرفة الحقيقة؟ لماذا دفعتني الى ان اخبرك؟

وقف روبرت امامها، يحدق فيها بثبات.

- لأنني اناني الى درجة اردت معها ان اتأكد من ان السبب الحقيقي الذي دفعك الى الزواج به لم يكن مرده انك وقعت في حبه آنذاك.

ارتعشت جولي لكلامه هذا، وقالت مدافعة:

- كان مايكل لطيفاً جداً معي وقد غمرني بحنانه. ولست ادري ما الذي كنت استطيع فعله من دونه.

صرخ فيها روبرت بصوت اجش:

- لكن، كان يجب ان تخبريني! انا هو الشخص الذي كان مفترضاً فيك اللجوء اليه... وليس مايكل!

- كيف كان لي ان افعل ذلك؟ فانت كنت مسافراً، فضلاً عن اني بالكاد كنت استطيع الكتابة اليك، بعد الذي حدث وقيل بيننا، لأشرح لك بالتفصيل ان عليك ان تعود الى انكلترا وتتزوجني لاني حامل! كم... كان هذا ليبدو محبباً وساحراً؟

انحدرت نظرات روبرت باضطراب على قوامها الرشيق. وقال بصوت

غليظ:

- يبدو انك لا تدركين الحقيقة، لو انك كتبت لي توضحين حقيقة وضعك لكان لكلماتك وقع طيب في قلبي.

تدافعت انفاس جولي في صدرها، وسألته مستغربة:

- كيف تستطيع ان تقول هذا بعد الطريقة التي اجبتني بها عن رسالتي؟

- اعلم هذا، اعلم. لكني كنت غاضباً انذاك، ارجوك، حاولي ان تفهميني، كنت قد رفضت الانصات الى كل شيء قلته لك وعرضته عليك. رفضت ان تتزوجيني، يوم توسلت اليك ان توافقي. رفضت ان تفهمي وضعي بالنسبة الى مشروع غوابا. فكيف كان في استطاعتي ان ادرك المعنى الحقيقي لرسالتك تلك؟ لقد مزقتها. لم اكن، يومها، اعتزم الرد عليها، الا اني عدلت عن رأيي وفعلت.

سألته جولي واظافرها تنغرز في راحتيها من حدة معاناتها:

- لماذا؟

هز رأسه لا يدري جواباً:

- في قرارة نفسي اظن اني فعلت ذلك لاني لم اكن مقتنعاً ان كل شيء انتهى بيننا. حتى اني رغبت الى حد ما في رؤيتك بعد عودتي من فنزويلا، في محاولة لرأب الشرخ الذي في علاقتنا.

سارعت جولي تقول:

- لكن رسالتك انذاك لم تكن توحي بمثل ما تقول.

- اعرف هذا، اعرف ان جوابي لك دفعك الى البحث عن وسيلة تؤمن لك عيشك وتربية الطفلة. لكن، هل كان عليك ان تتزوجي اخي مايكل لتؤمني مستقبلك؟

شمخت جولي برأسها، وقالت:

- لم يكن قراراً سهلاً، صدقني. كنت وحيدة. وكان مايكل الانسان الوحيد الذي ابدى عطفاً وتفهماً... وقليلاً من الحنان. لقد سألني ان اكتب اليك واخبرك الحقيقة. كان متأكداً انك لن تتهرب من مسؤوليتك. لكني... لم أرِدْكَ وفق هذه الشروط. (وابتعدت مسرعة الى الطرف الآخر من الغرفة، اذ لم تعد تستطيع احتمال وجوده قريباً منها من دون ان تفضحها احاسيسها).

الا ان روبرت سار في اثرها، واقترب منها، ثم وضع يده على خصرها محاولاً تقريبها منه. الا انها لم تمكنه من ذلك، وقالت:

- صحيح انك والد ايما، لكن لا تنس انك خطيب باميلا هيلينغدون. وبالتالي لا يحق لك ان تتودد الي بهذا الشكل.

- لا يحق لي! (كانت انفاسه تتلاحق، واخذ يحدق بثبات في عينيها المغرورقتين بالدموع. وقال بصوت متهدج ضمنه كل ما يعتمل في قلبه) بل لي كل الحق في ذلك، لاني احبك، جولي. ولم اتوقف يوماً عن حبك، حتى حين كرهتك، صدقيني. وعندما علمت بزواجك ومايكل كرهتك وحقدت عليك. انت ايضاً تحبينني، فلا تحاولي ان تنكري ذلك.

ارتعشت جولي لا تدري ماذا تقول، ثم سألته:

- وماذا غير ذلك يمكن ان افكر فيه؟ وكما سبق لي وقلت، انت خطيب باميلا...

غمغم بوحشية:

- لتذهب باميلا الى الجحيم. اني لا احبها. ولم احبها قط. لقد اخبرتها هذا صباح اليوم.

طرفت عينا جولي غير مصدقة:

- لقد اخبرتها؟

- بالطبع. او تعتقدين اني سأستطيع العيش مع امرأة اخرى سواك بعد ان عرفت انك لا تزالين تحبينني؟ اوه، جولي. لا يمكنك ان تدركي المعاناة التي كنت اعيشها بسببك، وانا اتذكر الآن... اتذكر...

حاول ان يعانقها الا انها لم تمكنه من ذلك. وعاودت محاولتها التخلص من قبضته، الى ان افلحت اخيراً.

قال لها:

- يجب ان تتزوجيني، جولي (وتنفس عميقاً قبل ان يضيف) قولي لي انك ستفعلين، والا فليكن الله في عوني... لست ادري ما الذي سأفعله في هذه الحال!

خلعت جولي عن ذاتها كل قناع وتحفظ، ورمت بماضيها وراء هذه المتاهات الحالمة، وقالت:

- اوه، روبرت، اني اقبل الزواج بك متى تشاء. لكن، عليّ اولاً ان

اعتذر، ذلك اني كنت مراهقة غبية منذ ستة اعوام. وما حدث اتحمل مسؤوليته بمقدار ما تتحمل انت ذلك. لا بد ان تعرف هذا، ثم بعد ذلك، يوم كنت حاملاً، كانت ايام... اوه، كيف استطيع ان افسر ذلك؟ لقد اردت الجنين. هل يمكنك ان تدرك هذا الأمر؟ لقد اردت ان احمل طفلك!

شدها روبرت اليه ثانية وعيناه شبه مغمضتين، وهو في حلم يقظة. ثم قال:

- يجب الا تبوحي لي باشياء كهذه، الآن. لاني ارغب فيك الى درجة اني لن المسك ثانية قبل ان نصير زوجين امام الله.

ابتسمت جولي بحنان، وقالت بصوت دافىء:

- وهل تعني ما قلته بالفعل في ما خص ايما؟

نظر اليها واجابها:

- بالطبع. فلن يدري احد حقيقة موضوع ايما سوانا نحن الاثنين.

- وامك؟

- اذا هي استنتجت من تلقاء نفسها. هذا، الى اني اخبرتها هذا الصباح ان كل شيء انتهى بيني وبين باميلا. وهي لن تعترض. فهذا ليس من اسلوبها.

- كلا.

اومأت جولي برأسها موافقة. وادركت تلك اللحظة مغزى سؤال لوسي لها وهي تتركها عند باب المستشفى.

فجأة، سألها روبرت:

- قولي الحقيقة. لو... لو اني لم استنتج الحقيقة في موضوع ايما. هل كنت اخبرتني بذلك من تلقائك في يوم من الأيام؟

احنت جولي رأسها، وقالت:

- وهل تعتقد اني كنت احاول ان اكون عقبة بينك وبين باميلا؟

- لكن، كان يجب ان تدركي منذ نهاية الاسبوع المنصرم ان احساسي حيال باميلا كان شيئاً عارضاً بالنسبة الى احساسي العميق حيالك. شكراً لله ان ساندرا قطعت حبل الارجوحة. من النافل ان اقول هذا. لكن من دون الحادثة التي وقعت لايما لكنا استمرينا في مواجهتنا الحامية لأشهر واشهر.

رفعت جولي نظرها اليه:

- كنت تزوجت باميلا، والحال هذه، في الربيع.

- هل تعتقدين ذلك؟ من اللحظة التي نزلت فيها من الطائرة، بل من اللحظة التي علمت فيها بوفاة مايكل، ادركت انه عاجلاً او آجلاً، كان علي ان اخبرك بحقيقة مشاعري تجاهك.

لمست جولي خده، وسألته:

- لكنك غضبت جداً يوم خرجت مع فرنسيس...

- بل كنت غيوراً! ولو انك كنت تثقين بي اكثر، لكنت ادركت حقيقة غضبي يومذاك.

- اوه، روبرت (فجأة بدا عليها التساؤل واستوضحته قائلة) لكن، كيف عرفت بقصة الارجوحة، يومذاك؟

- اخبرتني بذلك السيدة هادسون.

ابتسمت جولي:

- بالطبع، كان فألاً حسناً انك كنت هناك تلك الساعة. والا لكنا وقعنا في مأساة. كيف صدف ان كنت حاضراً؟

تنهد روبرت قبل ان يجيب:

- كنت في زيارة لآل هيلينغدون وبعد تناولنا الغداء حاول فرنسيس ان يقنعني بان ايما ستكون اسعد حالاً لو ذهبت الى مدرسة القرية.

اومأت جولي برأسها تقر:

- نعم... انا سألته ان يكلمك في الموضوع.

- اعرف هذا. وكنت، في الحقيقة، غاضباً جداً، خصوصاً اني، بعدما جرى في نهاية الاسبوع المنصرم، اخذت افكر جدياً في الموضوع.

- فعلاً؟ يا حبيبي كم انا مسرورة.

- كان واضحاً ان ايما لن تستجيب لمعاملة امرأة كساندرا لوسن. الى ذلك، لم اكن مرتاحاً البتة لمجرد التفكير انها قد تكون موجودة في هذا المنزل لتراقب تحركاتي هنا (سوّى شعره باطراف اصابعه، واضاف) متى ستتزوجينني؟ قريباً؟ يجب ان يتم هذا في القريب العاجل.

فجأة، اتسعت حدقتا جولي وهتفت بعدما اتضحت لها كل الاشياء على حقيقتها:

- الورود البيض! انت ارسلت الورود البيض!

- طبعاً (اوماً برأسه) ومن يكون ارسلها غيري؟

هزت جولي برأسها:

- لكن، بعد الذي جرى في المستشفى الليلة البارحة، بالكاد تجاسرت على التفكير بك. دعك من تصوري اياك ترسل الي ورداً!

داعبتها نظرات روبرت الحالمة، فتوردت وجنتاها. وقال لها:

- لم ارد ان اتركك مساء امس على حالك تلك. الا انه كان علي ان اصارح اولاً باميلا بالحقيقة قبل ان ابوح لك بما يعتمل في قلبي. وكما قلت، لم اكن حراً قبلاً، وكنت في حاجة الى ان اكون كذلك، كنت في امس الحاجة الى حريتي.

تراجعت جولي قليلا الى الوراء وهمست قائلة:

- اتعتقد ان السبب الذي حدا بمايكل على ان يعهد اليك بتربية ايما اعتقاده بان هذا يمكن ان يحدث بيننا؟

- ربما، قد يكون هذا احتمالاً في محله. فهو كان يدرك انك لن تحاولي الاتصال بي لاسباب كثيرة، وكان عليه ان يتأكد من ان احداً سيرعى حياتكما من بعده.

- لكنه لم يكن في استطاعته ان يعلم انك... اني...

- اتعتقدين ذلك؟ (وهز روبرت رأسه مشككاً) لا بد انه ادرك حقيقة احساسنا واحدنا حيال الآخر، يوم عاد الى انكلترا مع ايما وكانت لا تزال طفلة تحبو، يومها ادرك ان اهتمامي بك... او بحياتكما هناك، لم يكن امراً عادياً.

تركته جولي يشدها اليه ثانية، وهي تقول:

- كم انا سعيدة الحظ، روبرت.

خيمت لحظات من الصمت الدافىء المعبر، الى ان ابعدها روبرت عنه بحزم، وقال:

- علي ان اذهب الآن. والا فلن اذهب من هنا ابداً.

دنت منه جولي ثانية، وقالت تقترح عليه:

- يمكنك ان تشغل الآن الغرفة الاضافية وقد رحلت ساندرا لوسن.

الا انه هز رأسه نفياً.

- لا اظن ان هذا سيكون ممكناً الآن. جولي، اني احبك. لكن علي ان اكون متعقلاً، واستطيع الانتظار الى ان نتزوج شرعاً.

وزرر سترته ثانية.

سألته جولي وابتسامة حنونة قابعة على ثغرها:

- حسناً. متى اراك ثانية؟

تمتم قائلاً:

- سأعود غداً صباحاً ثم نذهب معاً الى المستشفى لنخبر ايما. موافقة؟

- هل تعتقدين انها قد تمانع؟

هزت جولي رأسها نفياً:

- انها تحبك. وانت تعرف هذا. ويوماً ما، حين تصبح في سن راشدة، سنطلعها على الحقيقة.

مال اليها يعانقها واضاف بصوت حنون:

- واعتقد انها ستكون متفهمة، فهي في اي حال، ابنتك.